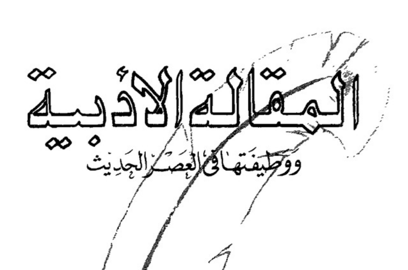


المقالة الأدبية

ووظيفتها في العصر الحديث

تأليف

د. عطاء كفافي

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان



المقالة الأدبية

ووظيفتها في العصر الحديث

د. عطاء كفافى

المقالة الأدبية

ووظيفتها فى العصر الحديث

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

المكتب: ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
المطبعة : ٢ ش عبد الفتاح الطويل - أرض اللواء
ت ٤٧٧٧٥١ - ص. ب ٦٣ إمبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يلحظ الباحث فى حياتنا الأدبية أن المقالة تشغل مساحة كبيرة فى خريطة النتاج الأدبى الحديث؛ فهى الشكل المحبب لدى الأدباء على مختلف نشاطاتهم الأدبية، يقدمون من خلالها تصوراتهم وأفكارهم، ويعالجون بواسطتها مشكلات الحياة وقضايا الأحياء.

وقد نبغ من أدبائنا عددٌ كبير من كُتَّاب المقالة بمواهبهم القلمية، وتمرسهم فى كتابتها زمنا طويلا حتى أسلست لهم قيادها، وأصبحوا أعلاما فيها.
كما أصبحت المقالة عاملا مهما من عوامل التطور الأدبى والفكرى فى عصرنا الحديث.

إن المقالة بمالها من المرونة، ومن حريةٍ لكاتبها تستطيع أن ترود آفاقا جديدة قبل غيرها من فنون الأدب الأخرى فى دعوة إلى فكرة، أو إشارة إلى وجهة، أو تنبيه لظاهرة، أو عرضٍ لقضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات، فلا عجب إذن أن يؤثرها الأدباء والنقاد على السواء؛ فهى اللون الذى يناسب روح العصر وذوقه.

وكان هذا دافعا لكتابة هذا البحث عن المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث. وسنحاول فى القسم الأول منه دراسة المقالة بوصفها فنا من فنون الأدب، ثم نعمد فى القسم الثانى إلى بيان وظيفتها فى العصر الحديث بإبراز معالم تلك الوظيفة، وإيراد مثالٍ تطبيقى لوظيفتها فى قضية واحدة هى قضية فلسطين خلال عام ١٩٤٨ بصورة مفصلة.

وأرجو أن يجد القارىء لهذا البحث صورة واضحة عن المقالة الأدبية.

والله الموفق.

د. عطاء كفافى

الرياض فى: ١٢ من ربيع الآخر ١٤٠٥هـ
٣ من يناير ١٩٨٥م

القسم الأول
المَقَالة الأدبيّة

خصائص المقالة الأدبية

ليس من السهل تعريف المقالة الأدبية تعريفا دقيقا؛ لأنها مختلطة بألوان من المقالات غير الأدبية بشكل أو بآخر. ومع ذلك فهناك عدة محاولات لتعريفها أو التعريف بها نسوق بعضها فيما يلي: -

١ - عرَّف الدكتور محمد يوسف نجم المقالة الأدبية تعريفاً موجزاً، وكأنه فى هذا التعريف يُقْصِر كلامه على المقالة الذاتية فيرى أنها «قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضوع، تُكتَب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب»[1]

٢ - وعرَّفها سيد قطب تعريفا اقتصر فيه على جانبى الفكرة والموضوع فى المقالة، ومُبعداً عنصر الانفعال الوجدانى فيها، فذهب إلى أنها «فكرة قبل كل شيء وموضوع. فكرة واعية، وموضوع معين يحتوى قضية يُراد بحثها، قضية تُجمع عناصرها وتُرتب بحيث تؤدى إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر. وليس الانفعال الوجدانى هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكرى»[2]

٣ - ورأى الدكتور زكى نجيب محمود فى التعريف بالمقالة الأدبية أنها يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع. على شرط أن يجيء السخط فى نغمة هادئة خفيفة، هى أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ. وهى سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة، وليس سخطا مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب. ويرى فى كاتب المقالة أن يكون ناقما، وأن تكون نقمته خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل. كما يُشترط فى المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة

---

(١) د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٧، ص ٩٥

(٢) سيد قطب: النقد الأدبى: أصوله ومناهجه، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦، ط رابعة، ص ٩٢

مشعثة من الأحراش والوحشية منها إلى الحديقة المنظمة؛ فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم.

ويقتبس تعريف جونسون - صاحب المكانة الرفيعة في الأدب الإنجليزى - للمقالة: بأنها نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام، هى قطعة لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها. وليس الإنشاء المنظَّم من المقالة الأدبية فى شيء[٣]

٤ - تناول عباس محمود العقاد المقالة فى كتاباته أكثر من مرة فناقش التعريف السابق للدكتور زكى نجيب محمود، وأوضح أن هذا التعريف للمقالة يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعا بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة. ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق على جميع الفصول التى تُكتب فى حيز المقالة المستقلة؛ فالكلمات التى تُطلق على المقالة فى اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة Sketch وكلمة Treatise بل كلمة Study وهى تترجم أحيانا بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز. وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذى يُصب التمثال على مثاله، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الإتقان.

وكلمة Article وهى أبعد قليلا من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء. ويقابلها عندنا (الفصل) الذى يستقل بموضوعه، ولا يُشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول.

وانتهى عباس العقاد إلى أن هذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية؛ فمقالات باكون وماكولى وأرنولد وسان بيف ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات وليام هازليت نفسه على

---

(٣) انظر د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ط ثانية، ص ٨-١١

إسهامه فى أدب المقالة كما يعرفها الدكتور زكى نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ماهو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير وأن البحث لا يُشترط أن يكون كتابا ضخما أو كتابا صغيرا فى عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات»[٤]

فعباس العقاد إذن وسَّع فى مفهومه للمقالة حتى شملت البحث، مخالفا فى ذلك ما ذهب إليه الدكتور زكى نجيب الذى قصر المقالة على نوع خاص عرفناه فى الفقرة السابقة. ثم قرر العقاد أن المقالة «ينبغى أن تكون مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل؛ فكل مقالة فى موضوع فهى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار»[٥]

وفى مجال حديث عباس العقاد عن فرنسيس باكون Francis Bacon الأديب الإنجليزى أشار إلى بعض شروط المقالة فقال «إنها ينبغى أن تُكتب على نمط المناجاة والأسمار، وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، وأن يكون فيها لون من ألوان الثرثرة والإفضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية»[٦].

ونلحظ أن عباس العقاد فى إشارته الأخيرة يتفق مع تصور الدكتور زكى نجيب للمقالة، ولكن العقاد عاد فأكد مفهومه السابق للمقالة الذى اتسم بالسعة فقال: «وليس من اللازم أن تتوافق المقالات جميعا على السنة الشائعة فى عُرف النقاد والقراء؛ ففى غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القرائح والطبائع والموضوعات»[٧]

٥ - وحدَّد عمر الدسوقى أبعاد المقالة الأدبية فى مجال حديثه عن أديب إسحاق. وعمر الدسوقى فى تحديده هذا مَعْنِيٌّ بتحقيق عنصر التنسيق والتنظيم فى المقالة مخالفا الدكتور زكى نجيب فيما ذهب إليه من عدم التنسيق والتنظيم فى

---

(٤) انظر عباس العقاد: مقالة بعنوان (أدب المقالة) فى مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧ بتاريخ ٢ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٥٧، ٨٥٨

(٥) عباس العقاد: يسألونك، لبنان، دار الكتاب العربى، ١٩٦٨، ص ٦، ٧

(٦) عباس العقاد: فرنسيس باكون، المجلد التاسع عشر من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، بيروت، دار الكاتب اللبنانى، ١٩٨١، ص ٣٥٠

(٧) المصدر السابق، ص ٣٥٣

المقالة؛ فيرى الدسوقى أن المقالة وإن كانت ذاتية تعبِّر عن رأى الكاتب فى موضوع من الموضوعات إلا أنها فى أشد الحاجة إلى التنسيق، فإنه لا يكفى أن يكون هناك خاطر، بل لابد من ملاحظة النظام فى كيفية إيضاحه، فإنه لا جلاء بدون تنسيق.

وقبل الكتابة لابد من وضع رسم ولو رؤوس أقلام، فإنه إذا لم يوضع الرسم يرتبك الذكى ولا يعرف كيف يبتدىء، وكذلك يدخل فى تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلما كلما اجتهد فى الإيضاح. ومن أين له أن قارئيه يصبرون إلى أن يعود ليهتدى سبيله؟. وفى الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً فى الذهن على الفور. وكيف كان ففى التنسيق ثلاثة أمور ضرورية: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجى[8]

وفى مجال آخر يبين عمر الدسوقى شروطاً للمقالة مبرزا من بينها عنصرى الفكر والمنطق وضرورة تحققهما، إلى جانب توافر عنصر التنسيق السابق، فعزا إلى النقاد أنهم رأوا أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم. ثم السير فى موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره فى النقاط الرئيسة، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحا فى تعبيره، منتخباً لكلماته، ولأسلوبه طلاوة، وعليه جمال. فضلا عن تنسيق الأفكار؛ فالأفكار غير المنسقة تدعو إلى اضطراب الكاتب فى كتابته. وعدم فهم القارىء لما يكتب.

وينتهى عمر الدسوقى إلى أن هذه الشروط ليست هى شروط الإنشاء المدرسى. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية؛ فإن الفكرة التى يُراد التعبير عنها سواء كانت فى نفس طالب مبتدىء أو كاتب نابغ محتاجة إلى الوضوح وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارىء بيسر، لا أن تكون مشعثة غامضة تسير على غير اتساق ونظام، فإن ذلك قد يؤدى إلى عدم فهمها

(٨) انظر عمر الدسوقى: نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢، ص ٨١.

فضلا عن أنه لا يتفق مع البلاغة فى شيء[٩]

* * *

وهذه التعريفات للمقالة الأدبية أو التعريفات بها – على فائدتها وأهميتها فى كشف جوانب من المقالة الأدبية – يُلاحظ عليها أنها تناولت المقالة من وجهة نظر معينة انتهت بصاحبها إلى ذكر بعض الجوانب فى خصائص المقالة وإغفال الجوانب الأخرى فيها، أو إيراد تعريفات لها مختصرة، مما يتطلب تحديداً لخصائصها، وبياناً لعناصرها بصورة مفصلة. وهذا ما سنحاوله فى الفقرات التالية: –

أولا: من خصائص المقالة الأدبية الإيجاز فى كتابتها، وتجنب الإطالة، والبُعد عن التوغل فى البحث عن الظواهر، وعرض التفصيلات، وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن فى تأليف الكتب وكتابة المباحث العلمية.[١٠]

ثانيا: ينبغي أن يشعر القارىء نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بحُسْن عرضه، وليس أمام واعظ يعظه ويوجهه؛ فالمهم فى كتابة المقالة هو طريقة كاتبها فى عرض ما يتأمله أو يشعر به ويحسه؛ فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجدانى عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء.

ثالثا: التعبير الوجدانى فى المقالة الأدبية ليس معناه حصر موضوع المقالة فى الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عمن سواه من الكُتَّاب.

ومن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية ما هو ذاتى محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية

---

(٩) انظر عمر الدسوقى: فى الأدب الحديث، الجزء الأول، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٤، ط سادسة، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(١٠) كانت مقالات مونتانى–وهو أول من كتب المقالة الأدبية فى الغرب وأبرز كُتَّابها–يتراوح طولها بين عشر صفحات وأربعين صفحة من القطع المتوسطة تقريبا. انظر أحمد أمين وزكى نجيب محمود فى قصة الأدب فى العالم، الجزء الثانى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥، ص ٦٤

ينفعل بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزييف فيه ولا تقليد، كما ينفعل بها الشاعر فى شعره والقاص فى قصصه.
والصدق الفنى فى التجربة التى يكتب عنها الكاتب لا يستلزم أن يعانيها بنفسه، بل يكفى أن يتمثلها، ويكون شعوره بها قويا، وأن يتوفر له من الحس المرهف والمقدرة الفنية ما يمكنه من تصويرها تصويرا حيا مؤثرا.

رابعا: لكاتب المقالة الأدبية إذن الحرية فى أن يكتب ما يشاء؛ فأمامه مصادر إلهام كثيرة: الحوادث اليومية، والمشكلات البيئية، وهموم الإنسان وقضاياه التى تشغله، وغيرها. كل هذا معروض لديه ليستخلص منه ما يريد من المعلومات والدروس ويعكس انطباعه بها، ويُبدى رأيه الخاص فيها.

خامسا: ينبغى أن تكون معالجة الموضوعات فى المقالة الأدبية فى جو من الطلاوة، وفى أسلوب حُرٍّ من أغلال الصنعة، والتنزه عن الابتذال، وفى عبارة بليغة، وعرض سوىٍّ شائق يجمع بين دقة الملاحظة، وحرارة الفكرة، وخفة الروح.

ولكى يكون لكاتب المقالة الأدبية التأثير القوى فى نفس القارىء ينبغى أن يجعل كلماته وعباراته والخواطر التى تعرض له موجهة لإبراز الفكرة الأساسية وتوضيحها، والبُعد عن كل ما يعوق ذلك الإبراز وهذا التوضيح.

سادسا: من خصائص المقالة الذاتية الطرافة فى فكرتها وفى تناولها، وأنها تُعبِّر عما يجول فى نفس الكاتب، وما يشعر به إزاء مجتمعه، وحيال مَنْ حوله؛ فهى محاولة تصور إحساس الكاتب ولا تسوقه فى قالب تقريرى، وتنقل انفعاله فى إيقاع حىٍّ يقظ، ولا تأتى به جامدا خامدا.

سابعا: عنصر العاطفة فى العمل الأدبى عنصر أساسىٌّ، ومن ثم فهو يحتاج فى أدائه إلى الخيال الذى هو لغة العاطفة، وبعثها فى نفس القارىء. ولا يمنع الإمتاعُ العاطفى فى المقالة الأدبية من الومضات الفكرية أو اللفتات الذهنية.
«فالفن إذا لم يرفدْه الفكر كان مجرد أحلام ساذجة، وأخيلة تافهة شاردة لا تتصل بالنفس ولا بالحياة.... والفكر هو طاقة الفن الكبرى، وهو مصدر إلهامه الأعظم. والفكر لا يكون كذلك إلا حين يصبح جزءًا من الفنان، وعنصرا من

وجوده الفنى. وحينذاك يصبح توجيه الفكر للفن صادراً من ذات الفنان لا من عالم خارج عن ذاته، فأى خطر على الفن من هذا إذن؟»[11]

فالفكر يشد أزر العاطفة، وهى توقظه وتنشطه، وهما يبعثان الإرادة. ويندر أن توجد فكرة جيدة لا تثير عاطفة ولا تحرك إرادة؛ فليس هناك تضاد إذن بين الفكر والعاطفة، بل العكس هو الصحيح؛ لأنهما يتآزران فى العمل الأدبى والفنى.

فالمقالة الأدبية الجيدة إذن تنم عن تفكير ناضج وعن عاطفة جياشة، مجلوة بأسلوب أدبى متقن؛ لأنه ليس معنى وجدانية التجربة الفنية لكاتب المقالة الأدبية أن تكون بعيدة عن فكره؛ فهو حين يُصوِّر تجربته ويُعبرٍّ عن ذاته يُعبرٍّ فى الوقت نفسه عن موقفه تجاه الحادث الذى أثَّر فيه أو المشهد الذى انفعل به. وهو بهذا التعبير يقدم لنا آراءه حتى ولو لم يقصد إلى ذلك عمدا ثم إن الكاتب تستغرقه عملية الإبداع الأدبى، فإذا جاءت مرحلة التعبير أشرف الفكر على تنسيق خواطره، وإحكام أدائها كيلا تختل أو تتعارض. وبقدر ما يتاح للكاتب من خصب الفكر وعمق النظرة إلى الإنسان والكون تتجاوز مقالته حدود مكانه وزمانه، فيؤثر فى من لا تربطهم به رابطة القطر أو العصر، لكن الأفكار لا ينبغى أن تُساق سوقا تقريريا، بل تأتى عبر وجدان الكاتب «وكلما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب، إن رأيته يرسل الخواطر إرسالا هينا فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكنون نفسه، ويُعنى بتنظيمه وثبوته كما يُنظم البحث العلمى فاعلم أنه عن الجودة بعيد»[12]

ثامنا: لنا الآن أن نتساءل هل للمقالة نهج معين؟ فإن القالب الأدبى لا يستغنى عن النهج، ولكنه يختلف باختلاف القوالب؛ ففى بعضها نجده بارزا لا تخطئه العين يتناسب تناسبا مطردا مع المقدرة الفكرية فى العمل الأدبى، فكلما

(١١) حسين مروّة: مع القافلة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٢، ص ٨٩

(١٢) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩ ط ثانية، ص ٦٧

زادت القيمة الفكرية فى العمل الأدبى برز النهج، ويتوارى إذا كان العمل يغلب عليه الاتجاه العاطفى[13]

وإذا طبقنا ذلك على المقالة الأدبية وجدنا أن النهج غير بارز فيها ولا نكاد نلمحه فى الغالب، فليس من السهل إذن أن نحدد للمقالة الأدبية نهجا معينا.

تاسعا: مما يساعدنا فى تحديد خصائص المقالة الأدبية كاتب المقالة نفسه، فإن كان أديبا له قلمه المميز فى عالم الأدب ساعدنا ذلك على تحديد نوع المقالة. فمثلا لو وجدنا مقالة تناولت قضية إسلامية كتبها عباس محمود العقاد، أو مقالة تعرضت لتجربة ذاتية لإبراهيم عبد القادر المازنى، أو مقالة لطه حسين عن ظاهرة أدبية، أو مقالة لأحمد حسن الزيات عن مشكلة اجتماعية لم نجد صعوبة فى عدِّ هذه المقالات مقالات أدبية.

عاشرا: قد نرى مقالات فيها بعض خصائص المقالة الأدبية، أو بعض صفات المقالة العلمية، أو بعض مظاهر المقالة الصحفية فكيف نحدد نوعها؟ يمكننا أن نقول إن العبرة فى هذا **بالسمات الغالبة على المقالة**؛ فليست هناك حدود فاصلة بين أنواع المقالات؛ لأن هذه هى طبيعة المقالة إذ ليست لها تلك القوالب المحدودة الصارمة.

وفى هذا المعنى يقول الدكتور زكى نجيب محمود: «ولعل عُسر المقالة ناشىء من أنها ليس لها حدود مرسومة يحفظها المبتدىء فينسج على منوالها كما يفعل فى القصة أو القصيدة».[14] وقريب مما ذهبنا إليه حديث الدكتور محمد عوض محمد فى تعريفه بالمقالة الأدبية إذ يقول:

«هذا التعريف بفن المقالة الأدبية ليس من الضرورى أن ينطبق تمام الانطباق على كل مقالة. ولكنه يتيح لنا مقياسا نقيس به المقالة الأدبية فى صورتها الكاملة. ومن الجائز أن تكون هناك مقالات أدبية دون مرتبة الكمال فى بعض النواحى، وتعوض هذا النقص فى نواح أخرى.... إن كل نِتاج فنى لا يمكن تقديره قدره بأن نطبق عليه قواعد أو أوصافا أو شروطا، بل لابد فى النهاية من تحكيم

(١٣) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣ ط ثانية، ص ٤١

(١٤) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٥

الذوق. وهذه التعريفات والشروط قيمتها أنها تُنبه ذهن القارىء، وتُعدُّه لتحكيم ذوقه فيما يقرأ»[15]

وأخيرا نُجمل العناصر الرئيسة للمقالة الأدبية فيما يلى: -

١ - صدق إحساس الكاتب.

٢ - الأصالة بمعنى التعبير عن الذات.

٣ - وجهة نظر خليقة بالبروز.

٤ - جمال التعبير.

٥ - قوة الإثارة أو الإمتاع.

وهذه العناصر لا تجتمع بنسب واحدة عند جميع كُتَّاب المقالة الأدبية؛ فهم - بطبيعة الحال - مختلفون فيها.

---

(١٥) د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩، ص ٦٥، ٦٦.

صفات كاتب المقالة الأدبية

بعد أن وقفنا على خصائص المقالة الأدبية نستكمل هذا الجانب بمزيد من التوضيح عن صفات كاتب المقالة الأدبية. وقد عرفنا أنه صاحب قلم يُعبرِّ عن الحياة ومظاهرها المختلفة، ويتناولها بأسلوبه الخاص؛ فهو لا ينظر إليها بنظرة المؤرخ أو الفيلسوف أو العالم أو القاص أو الشاعر ولكن فى فنه شىء من هذا كله. وليس يعنيه أن يكشف نظريات جديدة، ولكن طريقته أن يراقب ويرصد ويُفسرِّ الأشياء كما تبدو له، ثم يدع خياله يمرح فى جمالها ومغزاها.

والغاية من هذا كله أنه يحس إحساسا عميقا بصفات الأشياء وسحرها، ويريد أن يلقى عليها نوراً واضحاً رقيقاً لعله يستطيع بذلك أن يزيد الناس حبا فى الحياة، وأن يُعدهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة أو المحزنة.

فالنواة الأساسية للمقالة الأدبية فكرة أو خاطرة تخطر للكاتب، وقد استوحى هذه الفكرة أو الخاطرة من قراءاته، أو من تجاربه الخاصة، أو من ابتكاراته، أو من شىء شاهده أو توهمه. وهذه الفكرة أو الخاطرة يَحُس بها الكاتب إحساسا يأخذ فى التصور والتشكل فى نفسه حتى يخرج على الورق كائنا متكاملا هو المقالة الأدبية التى يستطيع بها الكاتب أن ينقل إلى أحاسيس الناس وعقولهم الصورة التى رسمها بدقة وقوة ووضوح، بحيث لا يتسنى إدراكها – فى جمالها وتأثيرها – بوسيلة أخرى من وسائل التعبير الأدبى.[١٦]

والعلاقة بين كاتب المقالة الأدبية الجيدة وقارئه هى علاقة ودٍّ وحب وثقة «بحيث يجد القارىء نفسه إلى جانب صديق يسامره، لا أمام معلم يعنفه. نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه زميلا مخلصا يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره، لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره يميل صلفا وتيها بورعه وتقواه، أو موقف المؤدب يصطنع الوقار حين يصب فى أذن سامعه الحكمة صبا ثقيلا. نريد للقارىء أن يشعر وهو يقرأ المقالة الأدبية أنه ضيف قد استقبله الكاتب فى

---

(١٦) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٦٤، ٦٥

حديقته ليمتعه بحلو الحديث، لا أن يحس كأنما الكاتب قد دفعه إلى مكتبته ليقرأ له فصلاً من كتاب».[17]

وكاتب المقالة الأدبية الجيدة يدرك ما للألفاظ وتراكيبها من قوة تعبيرية فيحسن استعمالها بذكاء، بحيث يؤدى بها - فضلا عن معانيها العقلية، أو مدلولاتها المباشرة - كل ما تحمل من صور مدخرة ومشاعر كامنة. والكاتب الناجح هو الذى يفيض عنه التعبير فيضا كما يتفجر الينبوع بالماء، مع الحرص على الرفق بقارئه حتى لا ينفر منه «لأن واجب الأديب الحق أن يخدع القارىء كى يمعن فى القراءة، كأنما يُسرِّى هو عن نفسه المكروبة عناء اليوم، أو يزجى فراغه الثقيل.

وهو كلما قرأ تسلل إلى نفسه ما شاع فى سطور المقالة من نكتة خفيفة وسخرية هادئة، دون شعور منه بأن الكاتب يعمد فى كتابته إلى النكتة والسخرية، فإذا بالقارىء آخر الأمر يضحك، أو يتأثر على أى صورة من الصور بهذه الصورة الخيالية التى أثبتها الكاتب فى مقالته.

وقد يعجب القارىء كيف يمكن أن يكون فى النفس البشرية مثل هذه اللفتات واللمحات! ولكنه لن يلبث حين يتبين أن هذا الذى عجب منه إنما هو جزء من نفسه أو نفوس أصدقائه، فيضجره أن يكون على هذا النحو السخيف، فيكون هذا الضجر منه أول خطوات الإصلاح المنشود».[18]

والذى يحدد لنا طريقة كاتب المقالة الأدبية عناصر ثلاثة:

١ - استخدامه لألفاظ معينة تميزه عن سواه.

٢ - اتباعه لطريقة خاصة به فى ترتيب هذه الألفاظ.

٣ - معالجته لموضوعاته على نحو ينفرد به فى سوق العبارات، وبالطريقة التى تُحدث صداها فى الإحساس وأثرها فى العقل.

كما يستطيع الكاتب الواعى أن يزيد فى كتابته - وبدون تكلف - من الألفاظ المشحونة بالعاطفة، ويرتبها ترتيبا من شأنه أن يزيد فى تحريك الشعور

---

(١٧) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٠

(١٨) المصدر السابق، ص ١٣

ورضا العقل؛ فالفرق بين كاتب وكاتب إذن هو فى الألفاظ المختارة، وفى ترتيبها، والطريقة التى تُساق بها هذه الألفاظ.

ويبرز لنا فى هذا المجال موقف كاتب المقالة الأدبية من اقتباس الأفكار. ويرى فيه الدكتور زكى نجيب محمود رأيا صائبا فيقول: «إن الأديب إذا برهن مرة على أنه قادر على الكتابة المبتكرة فله الحق بعد ذلك فى أن يسطو ما يشاء على إنتاج الآخرين، ذلك لأن الفكر مِلْك لكل من يستطيع أن يستخدمه استخداما حسنا، وأن يضعه وضعا ملائما. إن الفكر المستعار يظل بغيضا حتى تعرف ماذا تصنع به وعندئذ يكون مِلكاً لك.... وهؤلاء هم علماء النفس يُجمعون على أن الخيال المبتكر ليس لمبتكره فيه إلا فضل التأليف بين عناصر موجودة فعلا.... إن قوة الخيال هى أن تربط العلاقة بين شيئين أو مجموعة من الأشياء لم يسبقك إلى ربطها على هذا النحو إنسان».[19]

وتعَوُّد الكاتب على روح عمله وهو الكتابة أمر مرغوب فيه؛ فالموسيقىُّ يعيش فى عالم من الجو الموسيقى، والرسام يعيش حياته الفنية من خلال الألوان والظلال. كذلك الكاتب ينبغى أن يتمتع – إلى جانب الذهن الواعى والحس الأدبى – بالقدرة على معايشة موضوعات كتابته، والشعور برسالته نحوها حتى يُعَدَّ من الكُتَّاب المميَّزين الجديرين بقراءة نتاجهم.

والصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الكاتب الجيد للمقالة الأدبية يمكن أن نوردها فيما يلى: –

أولا: صدق إيمانه بما يكتب، وحرارة عاطفته لموضوعه، وخفة روحه فى عرضه.

ثانيا: أن يكون متمتعا بالذوق اللغوى الممتاز فى إلباس المعانى الألفاظ المناسبة، ووضع الألفاظ فى أماكنها الملائمة، وسوق الجمل فى إيقاع يبعث فى القارىء الإحساس بالمتعة، مع حرص الكاتب على ألا يشوه رصانة لغته جفاف، ولا يلحق أناقته تكلف؛ فكاتب المقالة الأدبية الواعى يراعى الإدراك

---

(١٩) المصدر السابق، ص ١٦٣، ١٦٤.

الجمالى عند القارىء، وإحساسه الفطرى به فيحرص على مراعاة ذلك لدى القارىء.

ثالثا: أن تكون لدى كاتب المقالة الأدبية روح الملاحظة الذكية التى ترصد ما حولها، ثم تختار ما تراه جديرا بالتعبير عنه من مظاهر الحياة وشئون الكون، ومن تجارب الآخرين على حد سواء.

فالكاتب المتمتع بقوة الملاحظة يعمل إذن على توظيفها بذكاء فى كتاباته، ويحرص على عادة تيقظ حواسه، وتنبه ذهنه لمختلف الأنشطة. وهذا التيقظ لحواسه والتنبه فى ذهنه ينبغى ألا يكون مقصورا على المجال الأدبى وحسب، بل يشمل مجالات أخرى، وأشياء متعددة حوله؛ لأن التخصص فى مجال معين ليس معناه حصر الاهتمام بهذا المجال دون سواه، بل لعل العكس هو الصواب فى مجالات الدراسات الإنسانية بصفة خاصة.

رابعا: تنمية ثقافة الكاتب وخاصة بالقراءة بوصفها نشاطاً ينبه القدرات الإبداعية لدى الكاتب؛ فكل ما يقرأه وإن كان شيئاً عارضاً وبعيداً عن ميدان تخصصه خليق بأن يتجمع حول نواة من فكرة ولدت فى ذهنه، فإذا حلَّ وقت الكتابة فسيجد مادة مفيدة، ورصيداً من الآراء المدخرة والمعلومات المختزنة.

خامسا: ألا يكون صوت كاتب المقالة صدى لأصوات أخرى، بل يكون تناوله لموضوعاته فى المقالة التناولَ الحرَّ المستقل، وطريقته هى الأداء الحى المتميز. نعم له أن يستعين بآراء الآخرين وأفكارهم ولكن ليهضمها ويتمثلها ثم يعرضها فى نتاج جديد مصطبغ بشخصيته.

سادسا: التريث فى العمل حتى ينأى الكاتب بقلمه عن تقديم النتاج الفج المتعجل؛ فعدم وضوح الفكرة فى ذهن الكاتب، واضطراب المعانى لديه قبل الكتابة ينتج عنه – بطبيعة الحال – فكراً غير ناضج، وكتابة مشوشة غير متناسقة.

سابعا: الملاءمة بين أسلوب الكاتب وتفكير القراء؛ فبعض الكُتَّاب يكتبون ويُعبرٌِون عما يجول فى خواطرهم من أحاسيس، ولكنهم يفعلون ذلك وليس فى خلدهم التفكير فى مواءمة هذا النتاج لكثير من القراء الذين هم من طبقات

متابينة. هؤلاء القراء الذين يجدون فى بعض هذا النتاج شيئاً من الغموض، أو عدم الفهم لتعبيرات معينة لا يدركها إلا العدد القليل منهم بعد صعوبة.

فكاتب المقالة الأدبية الجيدة يحس وجود قرائه معه وهو فى عزلته يكتب على مكتبه. إنه يكتب وكأنه يتحدث إلى هؤلاء الآلاف من القراء، يعرف مشكلاتهم، ولا تغيب عنه أمانيهم. وليس هذا ما يسميه البعض بالنزول إلى مستوى القراء، ولكنه المحاولة التى تهدف إلى تجريد الكتابة من التعبيرات الغامضة والتراكيب المستغلقة.[٢٠]

ثامنا: الملاءمة بين أسلوب الكاتب وروحه حتى تكون الكلمة المكتوبة انعكاساً صادقاً لنفسه الصادقة؛ فأحيانا تكون روح الكاتب متوهجة بجمال الصدق، ومع ذلك فإنه عندما يجلس ليعبر عنه تخرج لغته باردة سمجة لا روح فيها برغم محاولاته العسيرة.

وقد يكون الكاتب فى حديثه متدفقا سلساً يعرف كيف يقص حكاية، ويصل إلى هدفه بروح واعية فاهمة فإذا جلس ليكتب كان أسلوبه صعبا أو متحذلقا. ولعل سبب ذلك أن هذا الكاتب لم يعرف بعدُ كيف يسيطر على الأداة التى توصل هذه الأفكار إلى القراء. ومعنى ذلك أن عملية صب أفكاره على الأوراق تمتص كثيرا من نشاطه حتى لا تترك له حرية التصرف فى قلمه. وكذلك فإن تحكمه فى التعبير عن أفكاره يحتاج – بجانب التنمية بالثقافة – إلى الدربة حتى تصبح طبيعة لديه. وإلى أن يصل الكاتب إلى هذه المرحلة من الضبط فى أسلوبه نجد أن ذلك الأسلوب لا يمثله وقد يباين طبيعة نفسه. وعلى ذلك فإن أكثر الأساليب صفاءً وحلاوة هى الأساليب الرفيعة التى مرت بتلك المراحل حتى لتبدو من سماحتها وطبيعتها كأنها الشيء اللين اليسير. مثل هذا الأسلوب الرفيع هو الجزاء الحق للجهد الطويل فى التغلب على تلك العناصر غير المناسبة فى الأسلوب.[٢١]

---

(٢٠) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، ص ٧٠، ٧١

(٢١) انظر المصدر السابق، ص ٧١، ٧٢.

تاسعا: مراعاة الكاتب لجانبى الاقتصاد فى الكتابة مع الوضوح فيها. ويتحقق هذان العنصران (الاقتصاد والوضوح) بعدم الإسراف فى استقصاء جوانب الموضوع وجزئياته بالتفصيل كما سبق أن ذكرنا، وبإيراد الكلمات المفهومة والتراكيب النحوية السليمة حتى لا يستنفد جهد القارىء فى تفسير الكلمات وتوضيح التراكيب النحوية؛ فينبغى على الكاتب إذن أن يوفر للقارىء هذا الجهد، فبدلاً من أن يضيعه فى فهم كلمة غامضة المعنى، أو إدراك تركيب مستغلَق ينفق القارىء جهده فيما هو أجدى وأكثر منفعة ومتعة.

غير أن هناك بعض الأفكار التى يكتنفها الغموض، ولا يسهل استيعاب مدلولاتها، كما أن فى الحياة أسراراً لا يسهل التأدى إليها، والوقوف على مكنونها إلا بمشقة وجهد.

وقد تعلمنا أن ما نحصل عليه رخيصا فى مجال الأدب وفى غيره من أمور الحياة لا نعتز به ولا نقدره حق قدره. وفى أغلب الأحيان تكون قيمة الفكرة فيما نبذله من إحاطة بها وفهم لها.

هذا صحيح ولكنه لا ينبغى أن يكون حجة تُؤخذ على حساب عنصرى الاقتصاد والوضوح فى المقالة الأدبية.

ومن ناحية أخرى نجد فى حالات كثيرة أن مفهوم الاقتصاد ليس فى التقليل من جهد القارىء وحسب، بل فى حثه على أن يضاعف من نشاطه فى تلقى ما يقدمه له الكاتب من لغة تزيد من شهيته للقراءة، ومن أسلوب يمتعه ويرضيه. وهذا النوع من الاقتصاد فى الكتابة يتطلب مهارة الكاتب لكى يؤثر الكلمة الموقظة الموحية، ويفضل الصورة الحية الدالة، ويعرض الأفكار فى سياق محبب للقارىء.

وليس من اليسير أن يضع الباحث إرشادات أو قواعد معينة ليتبعها كاتب المقالة الأدبية فى هذا المجال؛ لأن ذلك يتوقف إلى حد كبير على ثقافة الكاتب وذوقه وذكائه. والذى يمكن أن يُقال فى هذا المقام إن هذا شيء يحتاج إلى الدربة ليتعلم أن كلمة توحى بمعان، وأن لفظاً واحداً يبعث فى خيال القارىء

صوراً مؤثرة يأخذ بعضها بيد بعض فى يسر وسهولة.[٢٢]

ونستطيع أن نقول بعد هذا العرض لخصائص المقالة الأدبية وصفات كاتبها إن كثيراً من كُتَّاب المقالة فى أدبنا الحديث تتحقق فيهم الصفات السابقة، وفى مقدمتهم الدكتور زكى نجيب محمود.

---

(٢٢) انظر المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

المقالة الأدبية والتراث العربى

نشأت المقالة الأدبية الحديثة فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى على يد الكاتب الفرنسى ميشيل دى مونتين Michel De Mantaigne (١٥٣٣ - ١٥٩٢م) فقد كتب عدداً من الفصول أطلق عليه اسم Essais بمعنى «محاولات» أو «تجارب» كأنه كان يحس أنه يكتب فنا جديدا من فنون الأدب على سبيل المحاولة أو التجربة.

وانتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية، وشاع استعمالها بمعنى المقالة الأدبية. وسرعان ما ظهرت ترجمة إنجليزية فى لندن لكتاب مونتين بالفرنسية قام بها فلوريو Florio سنة ١٦٠٣م، وتأثر بالكتاب كبار الأدباء الإنجليز، ومن أبرزهم فرنسيس باكون Francis Bacon (١٥٦١ - ١٦٢٦م) ثم وجدت المقالة فى الصحافة المجال المناسب لتأخذ مكانها ومكانتها التى حظيت بها بين ألوان الأدب الأخرى.

وأهم ما يميز مقالات مونتين كثرة الشواهد التى كان يستقيها من اللاتينية، والصراحة الجريئة فى عرض شئونه الخاصة، ونغمة الشك الهادىء التى تشيع فى كتاباته. ويمكن أن تُدرج مقالاته ضمن المقالات الذاتية. أما مقالات باكون فهى مجموعة من الأفكار والخواطر التى لا يُعنى فيها بالترتيب، مع التركيز الشديد فى كتاباته. ويمكن أن تُصنف مقالاته فى إطار المقالات الموضوعية. ولندع عباس العقاد يقدم لنا موازنة واعية بين هذين الكاتبين بوصفهما أبرز كُتَّاب المقالة الأدبية فى الغرب فيقول: «مونتين فياض مسترسل، كثير الأغراض، متعدد الملامح الشخصية، قريب فى أسلوبه إلى أساليب المقاليين المحدثين. ولكن باكون - على دأبه فى جميع حالاته - كان أقرب إلى الاحتجاز والتركيز، ودسومة المادة الفكرية، واجتناب الألوان الشخصية، والملامح الخاصة التى تنم عليه وعلى الجانب الإنسانى فيه».[٢٣]

---

(٢٣) عباس العقاد: فرنسيس باكون، ص ٣٤٩

ولانود التوسع فى الحديث عن نشأة المقالة فى الغرب وتطورها وأعلامها هناك؛ فقد تكفلت أعمال علمية أخرى بهذا الجانب.[٢٤]

وبعد الإشارة السريعة إلى نشأة المقالة الحديثة فى الآداب الغربية نتساءل هل يوجد شبيه للمقالة الأدبية الحديثة فى تراثنا العربى؟[٢٥].

والإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب؛ فهناك ألوان أدبية فى ذلك التراث لا تختلف كثيرا عن المقالة الأدبية بمفهومها الحديث وإن كانت تتسم بالسمات الأسلوبية للعصور التى كُتبت فيها، وتحمل أسماء أخرى مثل «الرسالة» أو «الفصل».

بل يذهب عباس العقاد إلى أبعد من ذلك فيرى أن «الفصل» كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة فى الآداب العالمية؛ لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتين الذى يُعد إمام هذا الفن بين الأوربيين.[٢٦]

وسنقتصر على إيراد أربعة نماذج من هذه «الفصول» و«الرسائل» كشواهد على أنها لا تختلف كثيرا عن المقالة الأدبية الحديثة بالخصائص التى تحدثنا عنها فيما سبق.

يرسم لنا النموذج الأول - وهو لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

---

(٢٤) انظر على سبيل المثال:

-عباس العقاد فى المصدر السابق عن فرنسيس باكون

-د. محمد كامل جمعة: مونتانى من مقالاته الأدبية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٨.

-نبيه صقر: مونتانى: حياته-فلسفته-منتخبات، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٦١، ط أولى.

- إيليا نعمان حكيم: بحث عن كتاب المقالات لمونتين، سلسلة تراث الإنسانية، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، المجلد الخامس، الجزءان الثانى والثالث، ٥ من فبراير ١٩٦٧، ٥ من مارس ١٩٦٧.

-د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، من ص ٥٧ إلى ص ٧٢.

-د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، من ص ٥ إلى ص ١٦، ومن ص ٢٥ إلى ص ٦٣.

-د. أحمد أمين ود. زكى نجيب محمود: قصة الأدب فى العالم، الجزء الثانى، من ص ٦١ إلى ٦٧، ومن ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٦.

(٢٥) لم نقل إن لها جذوراً فى التراث العربى؛ لأن كُتَّاب المقالة الحديثة من أدبائنا حاكوا فى كتاباتهم لها المقالة فى الأدب الغربى، ولم يريدوا بعث لون أدبى قديم.

(٢٦) انظر عباس العقاد: يسألونك، ص ٥.

(١٥٠ - ٢٥٥هـ) - صورة للبخل ممثلة فى سلوك أصحابه، وحرصهم الشديد على ما فى أيديهم، وذلك فى أسلوب أدبى رائع، وعرض فكاهى شيق فيقول: «حديث سمعناه على وجه الدهر. زعموا أن رجلاً قد بلغ فى البخل غايته، وصار إماما، وأنه كان إذا صار فى يده الدرهمُ خاطبه وناجاه وفدَّاه واستبطأه. وكان مما يقوله له: (كم من أرض قد قطعتَ، وكم من كيس قد فارقتَ، وكم من خامل رفعتَ، ومن رفيع قد أخملتَ. لك عندى أن لا تعرى ولا تضحى). ثم يلقيه فى كيسه ويقول له: (اسكُن على اسم الله فى مكان لا تُهان ولا تَذِل ولا تُزعجَ منه) وأنه لم يُدخل فيه درهما قط فأخرجه.

وأن أهلَه ألحوا عليه فى شهوة، وأكثروا عليه فى إنفاق درهم، فدافَعهم ما أمكن ذلك. ثم حمل درهما فقط، فبيناه ذاهب إذ رأى حوَّاءً قد أرسل على نفسه أفعى لدرهم يأخذه، فقال فى نفسه: أُتلِفُ شيئا تُبذَل فيه النفسُ بأكلةٍ أو شربة؟ والله ما هذا إلا موعظة لى من الله. فرجع إلى أهله وردَّ الدرهم إلى كيسه. فكان أهلُه منه فى بلاء، وكانوا يتمنَّون موتَه والخلاص منه بالموت والحياة بدونه.

فلما مات وظنُّوا أنهم قد استراحوا منه قَدِمَ ابنُه، فاستولى على ماله وداره ثم قال: (ما كان إدم أبى؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون فى الإدام)، قالوا: (كان يتأدَّم بجُبنة عنده؟)، قال: أرونيها، فإذا فيها حزٌ كالجدول من أثر مَسْح اللقمة. قال ما هذه الحفرة؟ قالوا: (كان لا يقطع الجُبن، وإنما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى)، قال (فهذا أهلكنى، وبهذا أقعدنى هذا المقعد. لو علمتُ ذلك ما صلَّيتُ عليه)، قالوا: (فأنت كيف تريد أن تصنَع؟)قال: (أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة)».[٢٧]

ويعرض النموذج الثانى - وهو للجاحظ أيضا - رسالة فى الحنين إلى الأوطان تُرينا نظرته لهذا الجانب الإنسانى فى حياة الناس، كما تكشف عن ثقافته الواسعة، وفهمه الصحيح للطبيعة البشرية، يقول الجاحظ: «إن لكل شيءٍ من العلم، ونوعٍ من الحكمة، وصنفٍ من الأدب سببا يدعو إلى تأليف ما كان فيه

---

(٢٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجرى، القاهرة دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨، ص ١١٩، ١٢٠.

مشتتاً، ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقا. ومتى أغفل حَمَلَةُ الأدب وأهل المعرفة تمييزَ الأخبار واستنباط الآثار، وضمَّ كلٍّ جوهر نفيس إلى شِكله، وتأليف كل نادر من الحكمة إلى مثله بطَلت الحكمة، وضاع العلم، وأُميت الأدبُ، ودَرَسَ مستور كل نادر.

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل فى الصخر لبَطَل أولُ العلم وضاع آخره. ولذلك قيل: لا يزال الناس بخير ما بقى الأولُ يتعلم منه الآخِر.

وإن السبب الذى بعث على جمع نتفٍ من أخبار العرب فى حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى تُربها وبلدانها، ووصفها فى أشعارها توقُّد النار فى أكبادها أنِّى فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك فى ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أُمهدَ من وطنه، وأعمَر من مكانه، وأخصب من جنابه.[٢٨] ولم يزل عظيمَ الشأن جليلَ السلطان، تدين له من عشائر العرب سادتُها وفتيانُها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها. يقود الجيوش، ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه أو راهبٌ منه؛ فكان إذا ذكر التُّربةَ والوطنَ حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها، وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرتُ الثَّغرَ فاضت مدامعى ... وأضحى فؤادى نُهبةً للهماهم[٢٩]
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربى ... وحُلَّت بها عنِّى عُقُود التمائمِ
وألطفُ قومٍ بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهمُ للمرء حقَّ التقادمِ

وكما قال الآخر:

يَقَرُّ بعينى أن أرى مَنْ مكانُه ... ذُرى عَقِدات[٣٠] الأبرق المتقاودِ[٣١]
وأن أرِدَ الماء الذى شربتْ به ... سليمى وقد ملَّ السُّرى كلُّ واخد[٣٢]
وأُلصِق أحشائى ببرد ترابها ... وإن كان مخلوطاً بِسُمِّ الأساود[٣٣]

(٢٨) جنابه: ناحيته، يقال فلان خصيب الجناب أى سخىٌّ.

(٢٩) الهمهمة: الكلام الخفى، والمراد الهواجس.

(٣٠) العَقِد: بفتح فكسر: المتراكم من الرمل، واحدته عقدة.

(٣١) المتقاود: المستطيل من الأرض.

(٣٢) الواخد بالخاء المعجمة: عنى به من وخد به بعيره، أى أسرع ووسع الخطو.

(٣٣) الأساود: العظيم من الحيات وفيه سواد.

فقلت:

لئن قلتَ ذلك لقد قالت العجم: من علامة الرُّشد أن تكون النفسُ إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توَّاقة. وقالت الهند: حُرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك؛ لأن غذاءك منهما وغذاءَهما منه.

وقال آخر: احفظ بلداً رشَّحك[٣٤] غذاؤه، وارعَ حمىً أكنَّك فِناؤه. وأولى البلدان بصبابتك إليه بلدٌ رَضِعْتَ ماءَه، وطعمتَ غذاءَه. وكان يقال: أرضُ الرجل ظئره[٣٥]، وداره مهده. والغريب النائى عن بلده المتنحى عن أهله كالثَّور النادّ[٣٦] عن وطنه الذى هو لكل رامٍ قنيصة.

وقال آخر: الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه....... الخ»[٣٧].

ونلحظ فى هذين النموذجين سمات الجاحظ فى كتاباته من رهافة حس، ونفاذ بصيرة، وذكاء فى رصد مظاهر الحياة فى مجتمعه، واستيعاب لعلوم عصره، وبراعة فى عرض هذا كله بأسلوب مشرق، وإيقاعات جميلة، وعبارات متوازنة. فلا غرابة إذن فى أن تكون كتابات الجاحظ نموذجاً رائعاً للكتابات النثرية على مر العصور، ففيها - فضلا عما أشرنا إليه - من الثقافة المنوعة، والنزعة الإنسانية، والدعابة المحببة ما يرضى العقل ويمتع النفس.

ويقدم النموذج الثالث - وهو لأبى حيان التوحيدى (٣١٠ - ٤١٤هـ) - رؤية لموضوع من الموضوعات التى تشغل الإنسان فى أى زمان كان، وفى أى مكان حلَّ ألَا وهو موضوع الصداقة الذى عُنى به أبو حيان وأكثر من الكتابة فيه.

يقول أبو حيان فى إحدى الرسائل التى أوردها فى كتابه (الصداقة والصديق): «الصداقة - أطال الله مدتك - التى وكَّدها[٣٨] الله بيننا بالدين

---

(٣٤) الترشيح: التربية والتقوية.

(٣٥) الظئر: المرضعة لغير ولدها. ويطلق على زوجها. والظئرة: الدِّعامة تُبنى إلى جنب الحائط.

(٣٦) ند يند ندودا: شرد وذهب على وجهه.

(٣٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الثانى، القاهرة مكتبة الخانجى، ١٩٦٤، ص ٣٨٣-٣٨٦.

(٣٨) وكَّدها: وثَّقها.

أولا، ثم بالجوار ثانيا، ثم بالصناعة ثالثا، ثم بالممالحة[٣٩] رابعا، ثم بالمنشأ خامسا، ثم بالمعاقرة[٤٠] سادسا، ثم بالتجربة سابعا، ثم بالألفة ثامنا، ثم بالميلاد تاسعا، ثم بانتظام هذه كلها[٤١]، عاشراً تتقاضانى[٤٢] لك حقوقا أنت عن التقصير فيها أغنى، وأنا بالإعفاء منها أملى[٤٣].

وإذا كنا على هذا السَّياح[٤٤] دارجين[٤٥]، وفى هذه الحومة داخلين، وعنها خارجين، فليس لحاسد إلينا سبيل، ولا لمتكلّف[٤٦] علينا دليل.

والله إنك لتذكر واحداً كذكرك عنقا يزيد على عنق العنبر، ويوصف فأرى لوصفك ما لا يراه أحدٌ من البشر لأحدٍ من البشر. وربما حلمتُ بك فى الرؤيا فيكون ذلك قُوتِى طول يومى. ومن كان هذا نعته من أجلك فكيف ينمّق بالقلم شوقه إليك؟ وكيف يذكر ما يختصّه لك[٤٧]؟ وكيف يجهز ما يشتمل عليه من خالصته ومحبته إليك؟

وقد يقصرُ اللفظ لِلطْفِ المعنى، كما يطول المعنى لقصر اللفظ. والإخاء إذا قَدُمَ استَحْصدَتْ مرائره[٤٨]، واستوسقت سوائره[٤٩]. وعند ذلك يكون الوصف باللسان تكلُّفا، والتكلُّف للوصف تعسُّفاً. وقد حضر لعبدك ولدى ختان أنت أولى الناس فيه بالقيام والقعود، بين الناى والعود. فإن رأيت أن تَبْدُرَ[٥٠] إلى ذلك – غداة غد – مكافِحاً للشمس عند الطلوع، غير عائج إلى

---

(٣٩) المماحة: المؤاكلة والمراضعة.

(٤٠) المعاقرة: المراد الملازمة.

(٤١) أى باجتماع هذه الخلال جميعها وتألفها.

(٤٢) تتقاضانى: تطلب منى وتوجب علىَّ.

(٤٣) إن تلك الوشائج العشر التى ذكرت توجب علىَّ حقوقا لك، إنْ أنا قصَّرتُ فيها فلن يضيرك ذلك التقصير لأنك غنىٌّ عنها، وإن أنت أعفيتنى منها فإن ذلك يؤدى إلى السقوط والانحدار.

(٤٤) السَّياح: المتسع.

(٤٥) دارجين: ماشين.

(٤٦) المتكلّف: المراد الوقّاع فيما لا يعنيه.

(٤٧) ما يختصه لك: ما يخصُّك به من حب.

(٤٨) استحصدت مرائره: استحكمت.

(٤٩) استوسقت سوائره: استقر سلطانه.

(٥٠) تبدر: تبادر وتسرع.

غيره[51] فعلت إن شاء الله».[52]

ويقف بنا النموذج الرابع – وهو لأبى حيان أيضا – على نمط من الحياة الاجتماعية فى عصره، ولون من ألوان الحياة المترفة التى كانت تعيشها بعض الطبقات آنذاك.

يقول أبو حيان فى رسالة عن طباخ: «كتبتُ – أعزك الله – من المحل الجديب، والبلد القفر، الذى أنا به غريب عن سلامة الجوارح والحواس، إلا حاسة التمييز فإنها أوضحت لما اخترت المُقام بهذه المفازة، وأحمد الله – عز وجل – كثيراً على نعمه ومحنه.

ومن مصائبى – أعاذك الله عز وجل من كل مصيبة، وجنَّبك كلَّ ملمة – أن نوحاً طباخنا توفى فأمرضَتْنِى أَذِيَّته، وآلمتنى فجيعتُه، وكان عنوانَ النعمة، وترجمان المروءة، وواسطة القلادة، فلهفى عليه! فلقد كان قِوام جسمى، وزيادة شهوتى، وممتع زوَّارى وأضيافى، أحذقُ أهلِ صناعته، وأبينهم فضلاً، وأرهفُهم سكيناً، وأعدلهم تقطيعاً، وأذكاهم ناراً، وأطيبهم يداً، ماأكاد أقترحُ عليه شيئاً إلا وجدتُه قد سبقنى إليه، مُعَبٌّ للموائد، مليك للثرائد، مع كل حارٍّ وبارد، كأنَّ مائدته رياضٌ مزخرفة، أو بُرودٌ مُفَوَّفة[53]، مُرتِّب للألوان، منظِّف للخوان، لا يجمع بين شكْلين، ولا يوالى بين طعامين، ولا يغرفُ اللون إلا وضدَّه، يُنضج الشواء، ويُحكم الحلواء، ويخالف بين طعام الغذاء والعشاء، يكتفى باللحظة، ويفهم بالإشارة، ويسبق إلى الإرادة، فكأنه مطَّلعٌ على الضمير من الزائر والمزور، فأودى فقيداً حميداً، ليس مثلُه موجوداً طريفاً ولا تليداً. فما ظنك – أعزك الله – بمبتَلٍ تجمع عليه فَقْدُ مثل هذه العقدة النفيسة، وتطاول الأيام بهذه الناحية المحلة[54] الموحشة، والله – عز وجل – لا أتقى إلا الشماتَةَ، ولستُ فى ثغرٍ فاحتمل عاجل الضَّنْك، ولا بإزاء

(٥١) غير عائج إلى غيره: غير مقيم بغيره.

(٥٢) أبو حيان التوحيدى: الصداقة والصديق، شرح وتعليق على متولى صلاح، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٧٢، ص ٩٠، ٩١

(٥٣) بُرْدٌ مفوَّف: رقيق مُخطَّط.

(٥٤) المحلة: المجدبة

عدوٍّ فيشغلني مقارعتُه، والظفرُ به، والنكاية فيه عن ملاذِّ الطعام. وأسأل الله – عز وجل – الكريم المنّان أن يختار لى، ويعجِّل مما أنا فيه راحتى، ويبدلنى خيراً منه زكاة وأقرب رُحْما بجوده وكرمه.

وكتابُك – أعزك الله – إذا وَرَدَ علىَّ نفى عنِّى هذه الوحشة، فإن رأيتَ – جعلنى الله فداك – أن تهدى لى براً وصلة ووصلة وأنسةً فعلتَ إن شاء الله تعالى». (٥٥)

ونرى أن أسلوب أبى حيان فى النموذجين السابقين يعكس – كما هو الشأن فى كتاباته الأخرى – موهبة نادرة فى الكتابة، وعاطفة جياشة، ومزيجا من الفكر والخيال، والتجربة والإحساس، وقلماً سيَّالا يفيض بالمعجب من القول، والجميل من الصور، والطريف من الموضوعات على نحو يحمل قارئه على الاستزادة من مطالعة ما كتب، والرغبة فى صحبته الممتعة.

وهذا كله من مقومات المقالة الأدبية الجيدة.

(٥٥) أبو حيان التوحيدى: البصائر والذخائر، المجلد الأول، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلانى، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٦٤، ص ٤٤٤–٤٤٦

المظاهر الفارقة بين المقالة الأدبية والمقالات الأخرى

بعد أن عرفنا فيما سبق تحديد خصائص المقالة الأدبية، وصفات كاتبها، وصلتها بالتراث العربى نعرض هنا لمظاهر الفرق بينها وبين المقالة الصحفية والمقالة العلمية(٥٦)

أولا: المقالة الصحفية:

الصحافة مهنة لها أصولها ومتطلباتها وأهدافها، والأدب فن له مقوماته وجمالياته ورسالته. وإذا كانت المقالة الصحفية تخاطب جماهير القراء بصفة عامة فإن المقالة الأدبية تخاطب من يتذوق الأدب فيهم بصفة خاصة. ووظيفة المقالة الصحفية هى التعليق على الأخبار فى الصحف، سواء كانت هذه الأخبار سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية بأسلوب الصحيفة المباشر الذى لا يهتم بالتعبير البيانى، ولا يُعنى بالصور الموحية، بحيث يكون المعنى فى ظاهر اللفظ؛ لأن الصحف تخاطب الجماهير ويقرؤها العامة والخاصة، فضلا عن أن قراءها يبغونها للساعة فلا محل إذن للارتفاع بعبارتها والتعمق فى معانيها. «ذلك أن الصحافة أدب غير خالد؛ لأن الأدب إنما يستمد خلوده من أشياء لها بالنفس الإنسانية أوثق صلة وأقوى رابطة. أما المقال الصحفى ففضلا عن أنه وليد الساعة التى يُكتب فيها، والظرف الذى أُنشىء فيه، فمتى فرغ القارىء من قراءته لم يشعر بحاجة إلى العودة إليه»(٥٧)

وكاتب المقالة الأدبية يجد من الوقت متسعا لإخراج مقالته بالصورة الفنية

---

(٥٦) قسَّمنا المقالة من حيث طريقة معالجتها ووجهة كاتبها إلى ثلاثة أنواع رئيسة هى: المقالة الأدبية والمقالة الصحفية والمقالة العلمية. أما ما يوصف بالمقالة الاجتماعية أو المقالة السياسية وغيرهما فيمكن أن يُدرج ضمن الأنواع الثلاثة الرئيسة للمقالة: الأدبية أو الصحفية أو العلمية.

(٥٧) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٠، ص ٢١٧

التى يراها معبرة عمَّا فى نفسه، وما يجول بخاطره، حتى تصل لقارئه فى الإطار الذى يرضيه كأديب. أما كاتب المقالة الصحفية فليس أمامه متسع لشيء من ذلك، لما يتطلبه العمل الصحفى من متابعة الحوادث وتطوراتها. «والوسائل التى يعتمد عليها الأديب كثيرة يمكن أن يقع منها الكثير تحت عنوان واحد هو «الخيال والصورة»؛ فالأديب صاحب الحق فى أن يعتمد على التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وعلى ما يسمى بتجسيم المعانى... وما يسمى بتشخيص الجماد.....

أما الصحفى فوسيلته فى التعبير اللغوى واحدة قلما يستطيع أن يعدوها إلى غيرها من الوسائل الأخرى. وهذه الوسيلة هى لغة الحياة الواقعة يتخذها أساساً للتعبير والإبانة، ويعتمد عليها فى كتابة الأعمدة الكثيرة فى الجريدة»[٥٨]

ثانيا: المقالة العلمية:

يعمد فيها كاتبها إلى عرض الحقائق المجردة مخاطباً العقل، ومتخذاً أسلوب العلم ومنهجه. وهو حين يكتب لا يكون إلا فرداً من الجنس البشرى يوجه الكلام إلى العنصر المشترك فى سائر الأفراد. وهو لا يدخل جانبه الشخصى فى كلامه، ذلك الجانب الذى يتميز به الأفراد بعضهم عن بعض؛ فالعقول فى الناس تنظر إلى الأمور من وجهة واحدة هى وجهة العقل. أما المشاعر لديهم فمختلفات لكل واحد فيها وجهته وشخصيته. ومن ثَمَّ كان التعبير العلمى يقوله هذا هو التعبير نفسه الذى يقوله ذاك، ويقوله ألوف الناس على تباين ثقافتهم وألوانهم لا سبيل إلى خلاف بينهم فيه. ولعل ذلك ما حدا بالعلماء أن يؤثروا الرموز على الألفاظ.

والكتابة الفنية تختلف عن الكتابة العلمية بما تمتاز به الأولى من عرض الخواطر والخوالج بأسلوب جميل مثير للشعور والخيال، وبالتالى ممتع للنفس. وتمتاز الثانية بأنها تتوخى تبليغ المعلومات والحقائق عن طريق العقل والمنطق،

---

(٥٨) د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب فى مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٥، ص ١٣، ١٤

فغرض الأولى المتعة النفسية الحاصلة من تذوق الجمال، وغرض الثانية الفائدة المعنوية والعقلية.[٥٩]

كما لا توجد ذاتية فى المقالة العلمية غالبا؛ لأن العناية مركزة فيها على إيراد الحقائق. أما فى المقالة الأدبية فإن الذاتية فيها غالبا ما تكون مصطبغة بالحياة والحركة. ولا تكون الحقائق واردة فيها وحسب، بل يكون إلى جانبها شعور الكاتب وموقفه وإيمانه.

ويجد القارىء نفسه إزاء المقالة العلمية وصاحبها أنه أمام معلم يعلمه مالم يكن يعلم، أو يثبت فى ذهنه بعض ماكان يعلم أو ينفيه، مستخدما فى ذلك لغة العلم وأسلوبه المباشر.

أما المقالة الأدبية فإن القارىء يجد نفسه عند قراءتها أن صديقاً له يسامره، ويُفضى إليه بما فى نفسه من أحاسيس ومشاعر، بأسلوب الأدب وصوره وأخيلته.

والكلام العادى لا يُعد أدباً «لأنه ليس له خصائص الأسلوب الأدبى اللغوية... فلابد أن يتضمن الأدب حرارة العاطفة، وإلا انقلب إلى حقائق علمية أو رياضية تخرجه عن كونه أدبا. وحتى عندما يكون العمل الأدبى قائما على الفكر يجب أن يتضمن الحرارة القادرة على أن تحرك وجدان الإنسان».[٦٠]

وقد يختلط الأمر فى جانب (التأمل) بين كاتب المقالة الأدبية وكاتب المقالة العلمية بمفهومها الفلسفى، ولكنَّ هناك فرقاً بين التأمل الأدبى والتأمل الفلسفى وإن كانا يستقيان من نبع واحد؛ فالتأمل الفلسفى يتناول المجردات فيدقق النظر فيها إدراكاً لكُنْهِها معتمدا فى ذلك التحليل العقلى. أما التأمل الأدبى فغايته التعبير عما تثيره هذه المجردات فى النفس من خوالج وصور خيالية. الأول محلل منطقى، والثانى مصور خيالى.[٦١]

---

(٥٩) انظر أنيس المقدسى: الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الكاتب العربى، ١٩٦٣، ص ٢٤٤

(٦٠) د. محمد مندور: الأدب وفنونه، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣ ص ٧.

(٦١) انظر أنيس المقدسى: الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث، بيروت، دار الكاتب العربى، ١٩٦٠، ص ٣٢٣

والأساس الذى يقوم عليه الفرق بين أسلوب المقالة العلمية وأسلوب المقالة الأدبية هو توافر عنصر العاطفة فى الأسلوب الأدبى إلى جانب الحقائق والأفكار، أما الأسلوب العلمى فإن المعارف العقلية هى الأساس الأول فى بنائه، وقلَّما نجد للانفعال أثراً فيه. لذلك كانت العناية فيه باستقصاء الأفكار بقدر عناية الأسلوب الأدبى بقوة الانفعال؛ فلسنا نعدو الصواب إذا قلنا: إن الأسلوب العلمى هو لغة العقل أساساً، والأسلوب الأدبى هو لغة العاطفة أساساً. ويترتب على ذلك أن يكون الغرض من الأسلوب العلمى أداء الحقائق قصد التعليم، وخدمة المعرفة، وإنارة العقل. ولكنَّ الغاية فى الأسلوب الأدبى هى إثارة الانفعال فى نفوس القراء، فضلا عن ظهور شخصية الكاتب فيه غالبا، فتُعْرَض الحقائق والأفكار مصطبغة بشخصية الكاتب ومجلوة فى صورة أدبية مؤثرة. وبهذا يجمع الأسلوب الأدبى بين الإفادة والتأثير.

كما أننا نلحظ فى أسلوب المقالة العلمية العبارة التى تمتاز بالدقة والتحديد والاستقصاء، وشيوع المصطلحات العلمية، والأرقام الإحصائية، والرسوم البيانية. أما أسلوب المقالة الأدبية ففيه العبارة الموحية، والصور الخيالية، والوقوف عند مواطن الجمال والتأثير، على نحو يؤدى فى النهاية للتأثير والانفعال؛ فكاتب المقالة الأدبية لا يجعل قصده – بالدرجة الأولى – تغذية العقل بالحقائق والأفكار، وإنما يعرف هذه الحقائق والأفكار ويختار أهمها وأبرزها بما يجد فيها من معرض عظة واعتبار، أو داعٍ لتفكير وتأثير، ثم يفسر ما اختار تفسيراً خاصاً به بما يخلع عليه من نفسه، ثم يحاول نقل هذا الانفعال إلى نفوس قرائه، أو إثارة مثله لديهم. وهنا يكون عنصرا العاطفة والخيال غالبين. وحينئذ تكون المقالة الأدبية.

ويرى د. زكى نجيب أن رجال النقد قد تواضعوا «على أن يطلقوا كلمة «مقالة» على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصُر طولها، وعالجت موضوعاً واحداً.... وهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف الإنشاء التى تقع تحت هذا الاسم؛ فالبحث العلمى القصير مقالة كالرسالة العلمية التى كتبها «لوك» عن طريقة اكتساب الإنسان للمعرفة، وأطلق عليها (مقالة فى العقل البشرى).

والقطعة الأدبية مقالة، ومثال ذلك مقالات (لام). وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنسانى علماً جديداً، ولا يقدم للقارىء معرفة، إنما بقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل.

وبين هذين الطرفين - المقالة العلمية من ناحية، والمقالة الأدبية من ناحية أخرى - تتفاوت المقالات درجات فى دنوها من هذا الطرف أو ذاك؛ فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ماهو إلى الفن الخالص أدنى، ومنها ما يجمع الغايتين فى آن معاً. فإن كان (لوك) مثالاً للفريق الأول، و(لام) مثالاً للفريق الثانى، فخير مثال نسوقه للفريق الثالث (ماكولى) الذى يحاول فى مقالاته أن يكون مؤرخا علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية، وأن يكون فنانا فى ألفاظه وعباراته فى وقت واحد. يحاول (ماكولى) بأسلوبه ما يحاول الخطيب، يظهر للناس كأنما هو يدير القول فى موضع عقلى منطقى، لكنه رغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته ودليله بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحُسن البيان». [٦٢]

هذا فى الغرب. أما فى نتاجنا العربى فهناك مقاليون كثيرون يمثلون الفرقاء الثلاثة السابقة؛ فعلى سبيل المثال وليس الحصر يمثل د. يعقوب صروف فى مقالاته العلمية بمجلة المقتطف، ود. أحمد زكى فى مقالاته العلمية بمجلة العربى الفريق الأول. ويمثل مصطفى لطفى المنفلوطى وأحمد حسن الزيات بمقالاتهما الأدبية الخالصة الفريق الثانى. ويمثل فؤاد صروف ود. محمد عوض محمد بمقالاتهما العلمية المعالجة بأسلوب أدبى الفريق الثالث.

ونطرح تساؤلاً عن المقالة الأدبية التى نسلكها فى عداد الفنون الأدبية وليست من قبيل المقالات العلمية التى تفنى متعتها عندما يستنزف القارىء ما فيها من معلومات، أو عندما تتغير بعض الحقائق التى اشتملت عليها بتقدم العلم؟

ونجيب بأنها المقالة التى لا تشتمل على قيم خارجة عن نطاقها الخاص، أى أنها تكون ممتعة فى ذاتها. وبهذا وحده يُكتب لها الخلود، لا بما تحتويه من

(٦٢) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٦٢-٦٤

المعلومات الموثوقة، أو التحليل العلمى الدقيق.[٦٣]

فالمقالة الأدبية - كما سبق أن قلنا - تُعنى بتصوير الإحساس ونقل الانفعال. وهذا يساعدنا فى التمييز بينها وبين المقالات الأخرى.

وإذا أردنا الفصل الواضح والتحديد الجازم بين أنواع المقالات فلن يتيسر لنا ذلك، نظرا للتشابه بين أنواع المقالات على صورة من الصور. والمهم فى هذا المجال مراعاة السمات الغالبة على المقالة، تلك السمات التى لا تغيب عن صاحب الحس الأدبى والذوق الفني، كما سبق أن ذكرنا فى الفقرة العاشرة من خصائص المقالة الأدبية.

ويحسن بنا أن نشير إلى كيفية قراءة المقالة الأدبية قراءة واعية بهدف تقويمها. فهذه الكيفية تتطلب أن تُقرأ المقالة ثلاث مرات: قراءة أولى هى قراءة الاستمتاع التى نعيش فيها بخيالنا مع الكاتب فى تجاربه وخوالج نفسه. وقراءة ثانية فاحصة نتبين فيها مدى نجاح الكاتب وتوفيقه فى رسم الصور لنرى هل ساقها ناصعة حية ترتسم فى ذهن القارىء بمثل ما ارتسمت فى ذهنه وهو ينشىء مقاله؟ أو كان دون هذه الغاية مقصرا. ثم قراءة ثالثة نناقش فيها آراء الكاتب وأفكاره ومفاهيمه ونقف على مقدار ما فيها من الصواب ومن الخطأ.

فقد تأثرنا إذن فى القراءة الأولى للمقالة الأدبية تأثر الإحساس الأدبى. وفى القراءة الثانية أعملنا العقل والقوة الواعية، وفيها نستكشف قوة هذا اللفظ، وأثر تلك الصورة. وسنجد بعد هذا الكشف ظلالا لطيفة دقيقة فى الصور والألفاظ كانت قد غابت عنا فى القراءة الأولى؛ لأننا بسحر الوقع فى شغل عن الأجزاء؛ فهذه القراءة الفاحصة ينبغى أن تسبقها قراءة أولى إبداعية تتم بقوة الخيال وحده نتابع فيها الكاتب بخيالنا، ولا نقف عند لفظة أو صورة لنتبين موضعها، فتلك مهمة القراءة الثانية قراءة الفحص. أما القراءة الثالثة فهى قراءة التقويم للأفكار والمفاهيم التى تضمنتها المقالة.

---

(٦٣) انظر د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ١٠١

المقالة الأدبية وفنون الأدب الأخرى

للنثر الأدبي – من مقالة وقصة وتراجم ومسرحية وخطابة – مزايا جديرة بالتنويه، فتحرره من الوزن والقافية جعله أكثر مرونة من الشعر المنظوم، وأقدر على معالجة موضوعات أكثر تنوعا وتعقيدا وأوسع مدى، وأرحب مجالا من معالجة الشعر. ومن ناحية الجمال اللفظي فقد أمكن للنثر الأدبي بصفة عامة، وللمقالة الأدبية بصفة خاصة الأخذ في هذا المجال بنصيب كبير، سواء أكان ذلك باستعمال لغة أدنى إلى لغة الشعر، أو بغير ذلك من الوسائل. ونحن ندرك أن هذه المكانة العظيمة للنثر الأدبي لم تتحقق إلا بعد مضى أجيال من التطور الأدبي سواء من حيث الصورة والصياغة، أو من حيث الموضوع والمادة.[٦٤]

وقد سبق أن ذكرنا في معرض الحديث عن خصائص المقالة الأدبية أنها تعبير وجداني يُفصح فيه الكاتب عما يُكنه في نفسه، وما يشعر به إزاء مجتمعه، والمقالة من هذه الناحية **وثيقة الصلة بالشعر الوجداني** الذي يعبر عن اختبارات الشاعر الخاصة ومعاناته، ولكن المقالة تختلف عنه بما يتيحه لها النثر من الحرية والمرونة.

ويبين الدكتور زكي نجيب محمود جوانب العلاقة بين **المقالة الأدبية والقصيدة الغنائية**، ومظاهر الفرق بينهما؛ فيرى أن المقالة الأدبية قريبة جدا من القصيدة الغنائية؛ لأن كلتيهما تغوص بالقارىء إلى أعمق أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، وتتغلغل في ثنايا روحه حتى تعثر على ضميره المكنون.

وكل الفرق بين المقالة الأدبية والقصيدة الغنائية هو فرق في درجة الحرارة، تعلو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط فتكون مقالة أدبية[٦٥]. والقصيدة الغنائية في رأيه أيضا تعبر عن الذات تعبيرا يعلو بالذات ويسمو بها. وهي لا تصور الذات

---

(٦٤) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٣

(٦٥) انظر د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٤

بكل ما فيها من أوجه النقص وأوجه الكمال؛ لأن طبيعة الشعر المنظوم تدعو إلى التسامى، ولكن (مونتينى) أراد أن يسكب نفسه بكل ما فيها على القرطاس. إذن فقد أراد للقصيدة الغنائية أن تُنثر، أراد قصيدة غنائية تتراخى أوتارها، فكانت له بهذا التحوير المقالة الأدبية. فالمقالة الأدبية فى صميمها إذن قصيدة غنائية سيقت نثرا لتتسع لما لا يتسع له الشعر المنظوم من بعض عناصر الذات[٦٦].

أما الدكتور عبد اللطيف حمزة فيرى فى هذه العلاقة بين **المقالة والقصيدة** رأيا مصطبغا بصبغته الصحفية؛ فالقصيدة لديه إنما هى مقال منظوم لا منثور، به يخاطب الشاعر الجماهير، ويحرص على أن يكون صدى لعواطفهم ومشاعرهم، وصورة من رأيهم وفكرتهم. وبهذا وحده يضمن الشاعر لقصيدته السيرورة والذيوع.

وتلك هى الغاية التى من أجلها تُنشر قصيدته فى الصحيفة ليقرأها أكبر عدد من الناس.[٦٧]

ولعل القصيدة الشعرية حاكت المقالة الأدبية فى ظاهرة (اتخاذ العنوان)؛ فقد كان الشاعر القديم يسوق قصائده فى (باب الغزل) أو (باب المدح) أو (باب الزهد) أو (باب الفخر) بدون عنوان خاص لكل قصيدة. أما الشاعر الحديث فقد حرص على أن يجعل لكل قصيدة من قصائده عنوانا خاصا بها كما فى المقالة. وأصبحت لغة القصيدة فى الأدب الحديث لغة قريبة من لغة المقالة الأدبية من حيث اعتماد الشاعر الحديث على اللفظ المأنوس المعبر، والبُعد عن اللفظ الغريب المهجور.

ويحصى الدكتور محمد عوض محمد أوجه الشبه بين المقالة الأدبية والقصيدة فى أربعة أوجه: –

– كلاهما قد يطول أو يقصر، ولكن الطول عادة محدود يحده الموضوع.

– كلاهما يلبس ثوبا من الجمال الفنى، وينتقى له اللفظ الذى يلائم المعنى ويجمِّله.

---

(٦٦) انظر د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٦٢

(٦٧) انظر د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب فى مصر، ص ٦٩

- كلاهما يعبر عن إحساس الكاتب أو الشاعر، ويفصح عما يجيش بصدره من عاطفة، أو ما يمر به من تجربة خاصة، أو فكرة يريد أن يعبر عنها تعبيراً مؤثراً.
- كلاهما يعالج موضوعاً واحداً محدود المدى؛ بحيث يمكن أن يستخدم فيه جميع وسائل التعبير والتأثير حتى تظهره واضحاً رائعاً.

ومن الجائز بالطبع ألا تستوفى القصيدة أو المقالة بعض هذه الصفات، ولكن هذا أمر يجوز فى جميع ضروب النتاج الفنى. ولكن خصائص كل نوع إنما تتقرر حسب النماذج الكاملة، كما أن العبرة فى وصف أى كائن من الكائنات هى بالمثال الكامل الذى لا ينقصه عضو من الأعضاء، أو جارحة من الجوارح.[68]

وعلاقة المقالة الأدبية بالقصة تأخذ عدة أشكال، فالمقالة بمرونتها تتسع لأن يورد كاتبها قصة قصيرة فى سياق مقالته يستميل بها قارئه، ويستعين بواسطتها على توضيح فكرته، أو بيان غرضه وهدفه، أو التمهيد لما يدعو إليه، فمثلا فى مقالة بعنوان (فى سوق البغال) يقول الكاتب: - «حدثنى صديق إنجليزى كان ضابطاً فى البحرية إبَّان الحرب عن زميل له ضوَّحت به خطوب البحر إلى جزيرة نائية فى عرض المحيط الهادى، لم يزد سكانها فيما أرى عن بضع مئات، اختلفت طبائعهم عن طبائعه، ولسانهم عن لسانه، لكنه كان فى خبرته بالحياة فسيح الأفق. بحيث لم يدهش لاختلاف الشعوب فى طرائق العيش، وأساليب الفكر والتعبير........ إلخ»[69]

وهناك شكل أدبى اهتم به بعض الباحثين، وهو شكل «المقالة القصصية» يفصح عنه الدكتور شكرى محمد عياد فى مجال كلامه عن روافد القصة القصيرة، فعدَّ من بين هذه الروافد «المقالة القصصية»، ورأى أن بدراسة هذا الرافد «تتسع أمامنا مادة البحث اتساعاً كبيراً؛ فإن محاولة إحياء المقامة وتطويرها قد وقفت عند جهود معدودة، ثم لم تلبث أن ذابت فى الأشكال الأدبية الجديدة.

---

(٦٨) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٥، ٦

(٦٩) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ٥٧

أما المقالة فقد كانت هى الشكل الأدبى الرئيسى طوال العصر الحديث، تلقت الدفعة القوية الأولى من يد جمال الدين الأفغانى مرتبطة بدعوته الشعبية؛ إذ كانت هى الوعاء الذى صُبَّت فيه أفكار الإصلاح والنهضة، وعُولجت قضايا الحكم والسياسة، وارتبطت فى نموها بنمو الصحافة، فانصرفت إليها كتابات تلاميذ الأفغانى: محمد عبده، وعبد الله النديم،، وإبراهيم المويلحى، وأديب إسحق.

ثم مع ظهور النزعة الرومنسية وُجدت المقالة الوجدانية، وكان علمها المنفلوطى. ومع تنوع فنون الكتابة السياسية وُجدت الصورة القلمية عند البشرى. ومع الاهتمام بالدراسات الأدبية وُجدت المقالة النقدية عند طه حسين والعقاد والمازنى وهيكل.

ولكننا هنا لا نؤرخ ولا نحصى أسماء، يكفى أن نقول إن المقالة بقيت إلى عهد قريب غالبة على إنتاج معظم الأدباء الذين يُقام لهم وزن. ثم إن مرونة شكل المقالة – على عكس المقامة – تجعل الآثار الأدبية التى تقف فى مكان ما بين القصة القصيرة والمقالة كثيرة جدا».[٧٠]

ويبرز لنا تساؤل عن الصلة بين **المقالة الأدبية والمقامة**، وهل يمكن أن تكون المقامة بمثابة مقالة قصصية؟[٧١]

وحتى نجيب عن هذا التساؤل ينبغى لنا أن نُعرِّف بالمقامة

المقامة اسم للمجلس أو الجماعة من الناس. سُميت مقامة من المقام، أى مكان القيام؛ لأنها تُذكر فى مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة لسماعها. وهى نوع من الحكايات القصيرة تُروى على لسان أحدهم، وبطلها رجل أحكم التحايل، وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق، ويوصف عادة بالدهاء والتكدية. وتعتمد المقامة على الخيال فى تأليف حوادثها. وترمى إلى غاية تعليم اللغة، وسرد الموعظة، ووصف الأشياء، والنقد الاجتماعى والأدبى. وتدور فى

---

(٧٠) د. شكرى محمد عياد: القصة القصيرة فى مصر: دراسة فى تأصيل فن أدبى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨، ص ١٠١

(٧١) يرى عباس العقاد أن المقامة مقالة قصصية لوحظ فيها تجديد الإنشاء. انظر كتابه: يسألونك، ص ٥

الغالب على حادث عادى فيه بطل وراوية، مع العناية فى إيرادها بالعبارات الجزلة والصناعة البديعية.

وقد ظلت المقامة زمنا طويلا أنموذج الإنشاء عند المتأدبين، ثم دالت دولتها بزوال دولة السجع، وشيوع النثر المطلق فى الكتابات الأدبية الحديثة.

ونستطيع بعد هذا التعريف الوجيز بالمقامة أن نقول إنه ليست هناك صلة بين المقامة وبين المقالة الأدبية بخصائصها الحديثة المعروفة.

وعلاقة **المقالة الأدبية بالتراجم** تمثلت بصورة واضحة فى شكل (مقالة التراجم) التى يعمد فيها كاتب المقالة إلى رسم صورة لشخصية من الشخصيات من الزاوية التى يراها جديرة بالتوضيح والإبانة، أو إيراد جوانب من الشخصية يعمل على إبرازها فى حيز المقالة، مثل مقالات عباس العقاد بمجلة المجلة فى عامى ١٩٦٢، ١٩٦٣ عن على يوسف، ومصطفى لطفى المنفلوطى، وأحمد لطفى السيد، ومحمد فريد وجدى، ومحمد المويلحى، ومصطفى كامل، والدكتور يعقوب صروف، وجورجى زيدان، وطائفة أخرى من الشخصيات.

فهو على سبيل المثال يتحدث عن طريقة الشيخ على يوسف فى عمله الصحفى، وكيف كان يرتجل صناعته الصحفية فى كل شىء، فى التقاط الأخبار، وفى جمع الآراء، وفى تحرير المقالات، وفى سياسة الجمهور، وسياسة ولاة الأمور. ويعطينا العقاد مفتاح هذه الشخصية النادرة فى كلمة واحدة هى (العصامية) حيث تصل هذه العصامية أحيانا إلى حدود المغامرة.[٧٢]

وينتهى العقاد إلى رأيٍ فى طريقة على يوسف فى كتابة المقالة فيقول: «أما المقالة فهى الصحفة المختارة على مائدة الشيخ على يوسف بغير جدال. وقد تُكتب المقالة فى موضوعها بأسلوب أجمل من أسلوبها، وعلى نمط من اللفظ والمعنى أبلغ من نمطها فى لفظها ومعناها، ولكن مقالة (على يوسف) هى مقالة على يوسف التى لا يكتبها غيره، ولا يؤدى الغاية منها أحدٌ كما يؤديها بقلمه ورأيه؛ فهى من الكَلِم المفصَّل على حسب قياسه جملة جملة وسطراً سطراً من

---

(٧٢) انظر عباس العقاد فى مقالة بعنوان: على يوسف، مجلة المجلة، العدد ٦٧، أغسطس ١٩٦٢، ص ٣، ٤

فاتحتها إلى ختامها. وليست من الكَلِم (المجهَّز) على قياسه ولو على وجه التقريب الذى يحكمها إحكام التفصيل»[٧٣].

كما قدم لنا العقادُ الكاتبَ المنفلوطى من جانب تأثير كتبه فى الشباب، واختيارهم لتعبيراته وصوره فى موضوعات الإنشاء، وتأثرهم بنهايات أبطاله فى كتبه، حيث يسود البكاء، ويشيع الانكسار أمام قوى البشر. وكيف كان لذلك تأثيره السلبى على الشباب من الناحية التربوية.

ولكن العقاد لم يقتصر فى مقاله على هذا الجانب الذى يُحسب على المنفلوطى ، بل كشف عن زاوية فى أسلوب المنفلوطى تُحسب له، وهى أن الرجل «يُعرف بمكانته الأدبية العامة، فلا يُعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته؛ فليس بين أدبائنا الناثرين من استطاع أن يُقرِّب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة كما استطاع صاحب (النظرات) و(العبرات)، فربما ذهب القصد فى الكتابة بجمال الإنشاء فى أساليب الناثرين المجيدين، وربما ذهب الأسلوب الإنشائى الجميل بالمعنى المقصود فى كتابة أدباء الفكر والتعبير، ولكن المنفلوطى – قبل غيره – هو الذى قارب بين الجمال والصحة على نسقه الفصيح فى سهولة لفظ، ووضوح معنى، وسلاسة نغم، وهو لا يبلغ مبلغ التبرج بالصقل والزينة، ولا يترك التبرج والزينة ترك المتقشف فى مسوح النساك».[٧٤]

أما صلة **المقالة بفن الخطابة** – إن كانت هناك صلة – فتظهر فى أن الأخيرة تُلقى شفاهة على مسمع من المخاطبين، مستهدفة التأثير فيهم بمختلف الوسائل اللفظية والبيانية والعاطفية، وحُسْن استعمالٍ لطبقات الصوت رفعاً وخفضاً، بصرف النظر عن تدوينها قبل الإلقاء أو بعده.

والخطابة بهذا المفهوم تختلف عن المقالة بخصائصها السابقة. ولكن الدكتور محمد عوض محمد يرى رأيا آخر مؤداه «أن كثيراً من الخطب سواء أُلف أو ارتجل يمتاز باللفظ المختار المنتقى، ويهدف إلى التأثير الشديد فى النفس، ويعبر

---

(٧٣) المصدر السابق، ص ٤

(٧٤) عباس العقاد: مقالة بعنوان (مصطفى لطفى المنفلوطى كما عرفته)، مجلة المجلة، العدد ٧٠، نوفمبر ١٩٦٢، ص ٦

عن مشاعر المتكلم فى أمر يهمه. وهذه الأمور تجعل تلك الخطب لا تكاد تختلف فى معدنها وجوهرها عن المقالات المحبَّرة المدوَّنة».[٧٥]

أما مقارنة **فن المسرحية بفن المقالة** فتتمثل فى أن المسرحية يُعنى فيها برسم الشخصيات، وإجراء الحوار، وإبراز الصراع فى بنائها وتطوره من خلال المشاهد حتى ينتهى بها كاتبها إلى نهايتها المقصودة. وهذه الخصائص بعيدة عن خصائص المقالة التى تبيناها فيما سبق.

وهناك بعض جوانب الاختلاف بين **المقالة الأدبية والخاطرة** يوضحها الدكتور عز الدين إسماعيل فيذكر أن الخاطرة من الأنواع النثرية الحديثة التى نشأت فى حِجْر الصحافة أيضا، ولكنها تختلف عن المقالة من عدة وجوه: فالخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة. وليست فكرة تعرض من كل الوجوه، بل هى مجرد لمحة. وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد، ولا هى تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها، بل هى أقرب إلى الطابع الغنائى. ثم مجال الاختلاف فى الطول؛ فالخاطرة أقصر من المقالة، وهى لا تتجاوز نصف عمود من الصحيفة، وعموداً من المجلة. وإذا ذُكرت الصحيفة والمجلة فإنما تُذكرا لتقرير أن الخاطرة فى وقتنا قد أصبحت عنصرا صحافيا تطالعه فى كل جريدة وكل مجلة. والصحف تعطى هذا العنصر عنوانا ثابتا؛ لأن الخاطرة تكون عادة – وهى تختلف فى ذلك أيضا عن المقالة – بلا عنوان. من هذه العناوين الثابتة: فكرة، نحو النور، شموع تحترق، ماقل ودل.. إلخ.

وهذا النوع الأدبى يحتاج من الكاتب إلى الذكاء، وقوة الملاحظة، ويقظة الوجدان. وهو يتمشى مع الطابع الصحافى العام فى الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة، وتفضيلها على الكتابات المطوَّلة. وأهميتها تأتى من أنها تستطيع لفت القارىء إلى الأشياء الصغيرة فى الحياة والتى لها دلالة كبيرة.[٧٦]

---

(٧٥) د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ١٠

(٧٦) انظر د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥، ص ٢٣٩، ٢٤٠

فالخاطرة إذن يمكن أن تكون نواةً لمقالة تنمو فى نفس الكاتب حتى تكتمل وتصبح مقالة بخصائصها المعروفة.

ومن الممكن أن نقول فى نهاية عرضنا للصلة بين المقالة الأدبية وفنون الأدب الأخرى بأن من الطبعى أن يفيد كل فن أدبى من الفنون الأدبية الأخرى، وأن تكون هناك نقاط التقاء بينها إلى جانب مظاهر الاختلاف.

الموضوع فى المقالــة

تُعد فكرة الموضوع فى المقالة الأدبية صلبها وأساسها، تخرج منها تفرعات تسير فى اتجاهات متعددة لتلتقى عند غايتها المقصودة، وتشكل بذلك الهيكل العام للمقالة، وهى تتخذ شكلها التصميمى التفصيلى من خيال الكاتب وتصوره، ومن حرارة عاطفته، ومن روح أسلوبه الذى تتوقف عليه عملية الثراء اللفظى.[٧٧]

ومجالات الموضوع كثيرة لا حصر لها؛ فهى مجالات الحياة بمختلف أشكالها، وتعدد ألوانها، من حوادث يومية، ومشكلات بيئية، وقضايا اجتماعية، وهموم إنسانية. وموضوعات المقالة قد تكون موضوعات جدية يهدف كاتبها إلى معالجة قضية من القضايا، أو طرح مشكلة من المشكلات، وبيان أبعادها، وإبراز آثارها، وتصوره لطرائق حلها. وهذا النوع من الموضوعات كثير لا يمكن حصره.[٧٨] وقد تكون موضوعات تحمل طابع الفكاهة والدعابة التى كثيرا ما تكشف عن العيوب والمثالب بطريقة ذكية من الكاتب لا تصدم حِسَّ القارىء ولا تجرح مشاعره، بل تلفته إلى بعض المظاهر، وتثير فيه الرغبة إلى النظر إليها برؤية جديدة. وقد ظهرت الأخيرة بوضوح عند كل من عبد العزيز البشرى، وأمين الريحانى، وإبراهيم عبد القادر المازنى الذى يصور حالته النفسية ومعاناته الصادقة وهو يبحث عن موضوع للمقالة فيقول:

«أقوم من النوم لأكتب، وآكل وأنا أفكر فيما أكتب، وأنام فأحلم أنى اهتديت إلى موضوع، وأفتح عينى فإذا بى قد نسيت، ويضيق صدرى فأتمرد وأخرج إلى الطرقات أمتع العين بما فيها مما تعرضه الحياة. فإذا بى أقول لنفسى: إنَّ كيت وكيت مما تأخذه العين يصلح لأن يكون مقالاً، ثم أتوقف وأكر

---

(٧٧) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، ص ٣٦

(٧٨) سيرد فى القسم الثانى من البحث نماذج من هذه المقالات الجدية عن قضية فلسطين.

راجعا إلى مكتبى لأكتب. وشرٌّ ما فى الأمر أن يجىء إلىَّ صديق فيقول: أقترح عليك أن تكتب فى كَيْت وكيت. وتحاول أن تُفْهمه أن كيتا وكيتا هذين لا يحركان فى نفسك شيئا، ولا يهزان منها وتراً، فلا يفهم لأنه على الأرجح يظن أن الكتابة لا تكلف المرء جهداً، وأن القلم هو الذى يجرى وحده، أو أنه لا دخل للنفس ولا للعقل فيما يخطه».[٧٩]

ويمكننا أن نقول إن موضوع المقالة أهم عنصر فيها. والكاتب الموفق فى اختيار موضوعه يكسب اهتمام قارئه وعنايته منذ البداية. لذلك يحسن بكاتب المقالة أن يكون يقظاً دائماً لأى خاطرة تخطر له، أو فكرة تدور بخلده ليشكل منها موضوعا يمكن أن يتناوله فى مقاله.

ونجاح الموضوع يتوقف على قيمته فى حد ذاته، كما يتوقف على صدق كاتبه وإيمانه بما يكتب، وعلى طريقة أدائه، وعرضه لعناصره وترتيبه لها، وعلى توقيته فى نشر الموضوع أحيانا؛ لأنه قد يُحدث صداه المطلوب فى وقت بعينه. وكلما وُفق الكاتب فى هذه العناصر كانت المقالة جيدة ومؤثرة.

(٧٩) إبراهيم عبد القادر المازنى: صندوق الدنيا، القاهرة، مطبعة الترقى، ١٩٢٩، ص ١٢، ١٣.

الأسلـوب فى المقالـة

ليست الكتابة الأدبية ألفاظا وجملا مختارة للتعبير عن الخواطر والمعانى وحسب، بل هى إلى جانب ذلك طريقة عرض الكاتب لأفكاره وتنسيقه لها، وإبرازها فى أحسن صورة، وأقواها تأثيرا فى النفس. ولا يتحقق ذلك بالتصنع فى الكتابة والتكلف فيها، بل يكون بإفراغ الكاتب لأفكاره فى قوالب تشعر القارىء بالقوة، وتكشف عن مشاعره فى إطار جميل.

وهذه العناصر تشكل فى مجموعها أسلوب الكاتب. ولكل كاتب – بطبيعة الحال – طريقته فى تناول موضوعه، وتنسيق أفكاره، واختيار ألفاظه وتعبيراته. والمقدرة على تكامل هذه العناصر، والبراعة فى تآزرها ملكة لدى الأديب الموهوب. وهذه الملكة لا تتحقق بدراسة الأساليب، ولا تتهيأ بالبحث فى طرائقها، وإن كان هذا عاملا فى تنميتها لدى الكاتب الموهوب. ويمكننا أن نصفه فى هذه الحالة بأنه صاحب (ذوق مثقف).

وقد وردت فى خصوصية أسلوب الكاتب، وارتباط الأسلوب بصاحبه، وتعبير هذا الأسلوب عن شخصية صاحبه فى قوة ووضوح عدة آراء طريفة، منها رأى بيفون Buffon الذى يرى أن من الهين أن تُنتزع المعارف والحوادث والمكتشفات، أو أن تُبدل، بل كثيراً ما ترتقى إذا ما عالجها مَن هو أكثر مهارة من صاحبها. كل تلك الأشياء خارجة عن ذات الإنسان، **أما الأسلوب فهو الإنسان عينُه**، لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه.

ورأى ماكس جاكوب Max Jacob فى أن جوهر الإنسان كامن فى لغته وحساسيته.

ورأى كلودال Claudel وخلاصته أن الأسلوب نغم شخصية الإنسان، مثلما لصوته نبرة لا تختلط بنبرة أصوات الآخرين.

بل يذهب بروست Proust إلى أبعد من ذلك فيرى أن الأسلوب بصمات تحملها الصياغة، فتكون كالشهادة التى لا تمَّحى.[٨٠]

ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن دراسة أسلوب المقالة يفيدنا كثيراً فى الوقوف على خصائص الأسلوب فى الفنون النثرية الأخرى؛ لأن المقالة هى اللون الغالب فى الكتابات النثرية، كما مارس كتابتَها أصحابُ هذه الفنون النثرية الأخرى.

ويهمنا أن نشير فى هذا المجال إلى أن أسلوب المقالة الأدبية ينبغى أن يتميز بالعاطفة التى تؤثر فى عبارات المقالة تأثيراً واضحاً يبدو فى صورها وتراكيبها. وليس معنى ذلك أن تخلو المقالة من الأفكار القيمة والحقائق المهمة. كلَّا فإن الفكرة والحقيقة عنصران فى الأدب لا ينبغى إغفالهما، وهما فى النثر ألزم لذاتهما أولا، ولأنهما يعززان العاطفة ويبعثان فيها القوة ثانيا، فتحمل الألفاظ والتعبيرات إلى جانب العواطف الإنسانية والمشاعر الحية محصولا من المعانى العقلية.

ونحن نستجيب عادة للأسلوب الأدبى فى المقالة بكياننا وإحساسنا الخاص لأن «استجابتى للشىء هى اسجابتى وحدى دون سواى، أختلف فيها عما يستجيب به كل إنسان خلاى، بمقدار ما تختلف طبائعنا ومشاعرنا بعضها عن بعض؛ فقد تجد الرجلين يتحدثان فيما يبدو لك أنه شىء واحد، وإذا الحديثان يختلفان، وإذا وجهتا النظر لا تلتقيان. وإذن فهما يتحدثان فى حقيقة الأمر عن شيئين ماداما ينظران إلى الشىء من وجهتين، أو مادام للشىء الواحد فى نفسيهما أثران مختلفان؛ فإذا أراد كاتب من هذين أن يعبر عمَّا فى نفسه فماذا هو صانع؟ لابدَّ له أن يعبرِّ بشىء نفهمه جميعا، ثم يضيف إليه أو يلونه ويصبغه بلون نفسه وصبغة نفسه.

وعلى كل حال لابد لأسلوبه – إذا ما أراد التعبير عما فى نفسه إزاء الشىء المعين – أن يُخرج مكنون نفسه، ويُفصح عن حقيقة حِسِّه، مهما يكن فى ذلك من ضروب الخلاف بينه وبين سائر الناس. ولعل هذا مانريده حين نقول: الأسلوب هو الإنسان. وفى هذه العبارة وحدها مايدل على استحالة أن

---

(٨٠) انظر عبد السلام المسدى: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسنى فى نقد الأدب، الدار العربية للكتاب (ليبيا–تونس) ١٩٧٧، ص ٦٣–٦٦

نقيم ميزانا دقيقا نفرق به بين الأساليب فنقول هذا أسلوب من الطراز الأول، وذاك أسلوب من الطراز الثانى، وهكذا، إذ يستحيل علينا أن نبين ما يريد الكاتب أن يفصح عنه إلّا خلال لمحات شخصية دقيقة ينثرها هنا وهناك».[81]

وبصفة عامة ينبغى على كاتب المقالة الأدبية الجيدة أن يُحسن التعبير عما يعتمل فى نفسه، ويحرك وجدانه، ويشغل ذهنه، مع عاطفة صادقة فيما يكتب، وذوق لبق فيما يتناول، فبتآزر هذه العناصر يمكن أن يتحقق للكاتب ما يتطلع إليه من النتاج الجدير بالقراءة، الهادف نحو المثالية.

وهناك صفات ثلاث للأسلوب تتحقق بتكاملها سمات المقالة الأدبية الجيدة هى: –

أولا: الوضوح:

لا يقتصر الوضوح على التعبير فقط، بل يشمل أيضا وضوح الفكر، وذلك لكى تكون المقالة مفهومة للقارىء ثم مؤثرة فيه. ومما يساعد على تحقيق الوضوح فى التعبير وفى الفكر حُسْن الاختيار للكلمات، ووضعها فى المكان المناسب من الجملة بما يؤدى إلى الترابط المحكم الدقيق فى المعنى، والاستخدام الواعى للتعبيرات الواردة حتى يتحدد المعنى، ولا يتشعب ذهن القارىء أمام تعبير يحتمل أكثر من معنى، مع حفظ التوازن بين الفكرة وكسائها اللفظى. والكاتب الناجح حريص على ألا يضحى بواحد منهما على حساب الآخر

ثانيا: القوة:

القوة التى ينبض بها أسلوب الكاتب برهان على عاطفة قوية تعتمل فى نفسه، وتشعل الحرارة فى ألفاظه. وهو فى ذلك مدرك – بطبيعة الحال – للمعنى الذى يعبِّر عنه، ومؤمن بفكرته التى يعرضها، فيصبح الكاتب فى ذلك مقنعا لقارئه ومؤثرا فيه، وكأنما يأخذ على عاتقه أن يجعل القارىء يشعر بما يشعر، وأن يؤمن بما يؤمن. والكاتب فى سبيل ذلك يعمل على استخدام كل كلمة وكل شكل من أشكال الكتابة حتى يصل إلى ما يريد.

---

(٨١) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٥٧

ومن الوسائل التى تحقق صفة القوة تلك الجمل القصيرة التى لها طابع القوة أكثر من الجمل الطويلة؛ لأنها تترك الانطباع السريع اللماح. وهناك التعبيرات الخاصة التى نجد لها أثرا أقوى من تلك التعبيرات العامة الشائعة. وهناك استخدام الصفات التى تترك فى نفس القارىء أثراً جمالياً إلى جانب قوة دلالتها. وهناك الصور التى يثيرها الكاتب فى خيال القارىء، ويجعله يحس بشعوره ويستجيب له وهو يقرأ أثره الأدبى.

ولا حدَّ للوسائل والظلال التى تؤثر على القارىء بطرق مختلفة؛ فهى فضلا عما تخلعه من جمال على الفكرة وتوقظ حواس القارىء تكسب الأسلوب قوةً وجلالاً.

ثالثا: الجمال:

من اليسير أن يدرك القارئ قيمة صفة الجمال عندما يرى الفكرة قد عبَّر عنها كاتبها بوضوح كامل، وتأثير قوى، ومع ذلك يلمح فى تفاصيل الجملة ما يسىء إلى الذوق الأدبى كتعبير قلق، أو تراكيب غير متناسقة، أو ألفاظ غير متآلفة الصوت ولا متوافقة النغم على نحو يسىء إلى طريقة الأداء، ولو لم يعرف القارىء لذلك تفسيراً، أو حتى يقف على سبب هذا التنافر. ذلك أن القارىء يشعر شعوراً مبهما بأن فى التعبير شيئا من القلق والنشوز. ويترتب على ذلك إعاقة للمعنى عن السريان والتسلسل.

والجمال فى الأسلوب لا يحتم - بطبيعة الحال - استخدام كل الأصباغ الفنية والحلى التعبيرية؛ فاستخدام وسائل الزينة فى الأسلوب وتحليته بها أمر موكول إلى انطباعات الكاتب النفسية وذوقه الأدبى. وترجع أهمية صفة الجمال فى الأسلوب إلى إرضاء رغبة القارىء فى الاستمتاع بالنص الأدبى وتنمية الذوق الأدبى عنده.

وإذا تأملنا كل صفة من هذه الصفات الثلاث منفردة خُيل إلينا أنها كل شىء فى الأسلوب، وأنه لا ينهض إلا بها، ولكن النظرة الشاملة الفاحصة تؤدى بنا إلى حقيقة جوهرية فى بلاغة الأسلوب، وهى أن كل صفة مهما بلغت قوتها لا تُجزىء عن الصفتين الأخريين، فلابد إذن من تآلف هذه الصفات الثلاث حتى يصدر عن هذا التآلف أسلوب أدبى جيد مشرق الديباجة، كما يصدر عن

الأوتار المتعددة للآلة الموسيقية اللحن الجميل الرائع، كما أنه لا يمكن الفصل بين صفات الأسلوب إلا من الناحية النظرية وفي مجال الدراسة فقط.(٨٢)

ومجال التمييز بين الأساليب، بل نسبة النص لصاحبه من غير ذكر اسمه مع النص أمر ممكن للقارىء الواعي المتمتع بالحس الأدبي، ذي الخبرة الطويلة بمختلف الكتابات، وطرائق الكُتّاب في تناولهم لموضوعاتهم وعرضهم لها، والسمات الأسلوبية الخاصة بكل كاتب.

وقد تناولت الأسلوبَ دراساتٌ عديدة، وتشعبت مباحثه، وتخصص فيه كثيرون حتى أصبح عِلْماً له قواعده ومناهجه. ومؤسس هذا العلم في الغرب هو شارل بالي Charle Bally (١٨٦٥ - ١٩٤٧م). وهذا العلم يختلف عن دراسة اللغة في أنها تقتصر على المادة اللغوية، أما علم الأسلوب فيتضمن ما يتعلق باللغة، وما يتعلق بعلم الأصوات، والصرف والتراكيب والدلالات والتأثيرات الوجدانية للظواهر اللغوية. والهدف من هذا العلم تقديم صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وما يختص به كل منها من دلالات.(٨٣)

كما خضعت دراسة الأسلوب وتحليله ومعالجة مشكلاته النظرية والتطبيقية للوسائل الإحصائية الحديثة، بغية توظيف بعض العلوم لخدمة الأسلوب وفق مناهج علمية منضبطة.(٨٤)

وبقيت كلمة أخيرة في مجال الأسلوب وهي أن الدعوة في بداية هذا القرن كانت موجهة إلى تحرير الأسلوب من أثقال المحسنات البديعية. وقد أثمرت هذه الدعوة ثمارها فتخفف الأسلوب من هذه المحسنات شيئاً فشيئاً حتى اختفت

---

(٨٢) لمزيد من التوسع انظر:

-د. محمد كامل جمعة: الأسلوب من ص ٧٥ إلى ص ٩٢

-أحمد الشايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢

(٨٣) للتوسع في التعريف بعلم الأسلوب انظر:

-د. شكري محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ط أولى.

-عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب. (مرجع سابق).

(٨٤) انظر د. سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، الكويت، دار البحوث العلمية، مطبعة حسان بالقاهرة، ١٩٨٠

من أساليب الكُتَّاب. ثم غلبت السهولة فى الأسلوب على كثير مما يُكتب الآن من مقالات ينسبها أصحابها إلى المقالات الأدبية، وهى فى حاجة ماسة للعناية بجماليات الأسلوب وقوته ووضوحه، وصوره الموحية المثيرة لخيال القارىء والموقظة لحسه، ولا تحجب فى الوقت نفسه أفكار الكاتب، بل تعمل على وضوحها وجلائها لدى القارىء.

تنظيم المقالة من حيث الشكل إلى المقدمةوالموضوع والخاتمة

سبق أن عرضنا – فى تحديد خصائص المقالة الأدبية – رأى الدكتور زكى نجيب محمود فى تنظيم المقالة، وشرطه لها أن تكون على غير نسق من المنطق، وأن تكون خالية من التبويب والتنظيم. وعرفنا رأى عمر الدسوقى المخالف لهذا الرأى، وتمسكه بضرورة التنظيم فى المقالة. كما قلنا إنه ليس من السهل أن نحدد للمقالة الأدبية نهجاً معيناً. ونضيف هنا أن تنظيم المقالة من حيث الشكل إلى المقدمة والموضوع والخاتمة إنما هو – وإن كان تقسيما يتفق مع الأصول الطبيعية – تقسيم تقريبى خاضع دائما لنزعات الكاتب، وما تمليه عليه سليقته الفنية؛ فليس من اللازم أن يكون لكل مقالة مقدمة، فيدخل الكاتب فى صميم موضوعه مباشرة، وأيضا قد لا تكون للمقالة خاتمة، وإن كان عمر الدسوقى يرى غير ذلك فيقرر: «أن المقال قد يحتاج إلى مقدمة، وقد لا يحتاجها، ولكن لابد له من نتيجة أو خاتمة».[٨٥]

وقد يلجأ الكاتب أحيانا إلى مخاطبة القارىء فى أى جزء من أجزاء المقالة بقصد مشاركته إياه، كما يُدخل فى ثنايا مقالته أشياء صغيرة من طُرفة أو لمحة ذكية تزيد فيها من نبض الحياة، وتبعث بين سطورها روح التشوق.

وخصائص أجزاء المقالة – إن كانت واضحة فيها – تتمثل فيما يلى: –

خصائص المقدمة:

ينبغى أن تكون المقدمة – إن وُجدت فى المقالة – جاذبة للقارىء، حاملة له على متابعة المقالة إلى نهايتها، فمثلا فى مقدمة مقالة بعنوان (فى سوق البغال) يقول كاتبها: «قد كنت أعلم حقا وصدقا ويقينا أن الليالى من الزمان حُبالى يلدن كل عجيبة، لكننى لم أكن أعلم أن عجائب الزمان قد تهزأ بالخيال ماشطح منه وما جمح، حتى سمعت أن بغلا يحتج ويحاجّ كما يفعل عباد الله من

(٨٥) عمر الدسوقى: فى الأدب الحديث، الجزء الأول، ص ٤٠٩

بنى الإنسان..... الخ».[86] فهذه مقدمة مشوقة للقارىء، باعثة له على متابعة المقالة.

كما يحسن أن تكون المقدمة مشتملة على ما يمهد لموضوع المقالة، وما يعدُّ القارىء لتلقى الموضوع واستيعابه. وسواء أكانت المقدمة قصيرة أو طويلة فينبغى أن يكون أسلوبها متضمنا عنصرى التشويق وتهيئة ذهن القارىء وعاطفته للموضوع.

والطريقة الأثيرة لدى كثير من الكُتَّاب أن يُصدِّروا مقالاتهم بحادثة صغيرة، أو قصة قصيرة، أو خاطرة مناسبة حتى يتقبل القارىء المعنى المنشود براحة وقناعة. ولتكن الوسيلة ما تكن فلن يتطلب الأمر إلا أن يكون هدف المقدمة إثارة التوقع لدى القارىء، وضمان انتباهه ومتابعته.

خصائص الموضوع:

موضوع المقالة أساسها وجوهرها، ويشغل - بطبيعة الحال - مساحة أكبر من المقدمة والخاتمة وهو يبدأ بنهاية المقدمة التى مهدت له.

ويأخذ الكاتب فى معالجته للموضوع بعرض مالديه من أفكار وتصورات وخواطر بالطريقة التى يراها مؤثرة فى قارئه ومقنعة له بشتى الوسائل والطرق من براهين وأدلة، أو شواهد وأمثلة، أو وصف وتحليل، ولديه متسع لكل هذا من غير نهج محدد يلزمه إلى أن يصل إلى الخاتمة، أو ينتهى من مقالته.

خصائص الخاتمة:

يهدف الكاتب من إيرادها - إن حرص على هذا - إلى تجميع عناصر المقالة فى صورة تتميز بالتركيز والتثبت فى نبرة حية تبرز روح المقالة كلها. وعندما تنتهى المقالة فلا حاجة إذن إلى شىء آخر لم يرد فى المقدمة والموضوع.

---

(٨٦) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ٥٧

المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية

تتيح المقالة لكاتبها – من حيث هى لون أدبى مرن – أن تظهر شخصيته واضحة جلية فى حالات شئونها وشجونها، ونظراتها وخطراتها. كما تتيح له أن يكون الموضوع الذى يتناوله فى الكتابة شغله الشاغل فى التفكير فى عناصره، وفى التنسيق بينها، وفى موقفه من الأفكار التى يتضمنها الموضوع. ومن هنا تُقسَّم المقالة إلى المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية.

وقد احتفظت المقالة الذاتية بالمعنى الأدبى والتاريخى لاصطلاح المقالة؛ إذ كانت المقالة فى أصلها تُكتب لتوفر قيمة أدبية خاصة، أى أن كاتبها كان يصطنع النثر الفنى وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها. وهى من هذه الوجهة تقابل القصيدة الغنائية.(٨٧)

وأهم مانشير إليه فى مجال بيان **سمات المقالة الذاتية** أنها – إلى جانب العناية بإبراز تجربة صاحبها وبيان إحساسه الذاتى – تعتمد إلى حد كبير على أسلوبها؛ فالبراعة فى الأسلوب سبب قوى من أسباب المتعة التى يجدها القارىء فى قراءتها. وهى وإن كانت تعتمد – إلى حد ما – على قيمة أفكار كاتبها إلا أن الأفكار ليست وحدها كل شيء؛ فالعمل الأدبى لا يعتمد على صحة الأفكار من الناحية العقلية والعملية – وإن كان ذلك مهما – بقدر ما يعتمد على طريقة عرضها وتجليتها فى صور أدبية رائعة.(٨٨)

أما **المقالة الموضوعية** فتكون شخصية الكاتب فيها متوارية وراء موضوعه، واهتمام الكاتب فيها يكون موجها لموضوعه وفكرته. ويرى الكاتب فى هذه الحالة أن جلاء الموضوع، وشرح الأفكار فى عبارة كاشفة محددة المعالم، وإيراد الجمل فى سلاسة يُعدُّ إرضاءً لعقل القارىء وفكره، ومتعةً لمشاعره وأحاسيسه.

وقد يجمع الكاتب فى مقالته بين الذاتية والموضوعية، فيعمد حين يعرض

---

(٨٧) انظر د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٨

(٨٨) انظر المصدر السابق، ص ١٢٩

لقضية أو ظاهرة إلى علاج عناصرها الموضوعية بصبغة ذاتية خاصة به.

ونماذج المقالة الذاتية كثيرة لا حصر لها، من بينها على سبيل المثال مقالة بعنوان (البرتقالة الرخيصة)[٨٩]، ومقالة بعنوان (الكبش الجريح)،[٩٠] ففى كلتا المقالتين تظهر شخصية الكاتب بوضوح فى عدة مواضع.

ونماذج المقالة الموضوعية متعددة أيضا ولا يمكن حصرها، ومن بينها على سبيل المثال مقالة بعنوان (أعذب الشعر أصدقه)[٩١]؛ فنجد فيها شخصية الكاتب متوارية وراء الأفكار والمعلومات التى تزدحم بها المقالة، وأيضا مقالة بعنوان (بيضة الفيل)[٩٢]، فشخصية الكاتب فيها غير ظاهرة، وكان دوره هو دور القاص للجدل العلمى الذى يسود جو المقالة.

ومن نماذج المقالة التى يجمع فيها كاتبها بين الذاتية والموضوعية مقالة بعنوان (شوقى فى الميزان بعد خمس وعشرين سنة)[٩٣] ومقالة بعنوان (الشخصية الحافظية)؛[٩٤] فقد عرض كاتبهما عناصر موضوعية تناولت شاعرية كل من الشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم، وكان هذا العرض الموضوعى مصطبغا بصبغة ذاتية للكاتب إزاء كل منهما، وخلاصتها التقليل من شاعرية شوقى وإبداعه، والإشادة بحافظ وشخصيته.

---

(٨٩) للدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه جنة العبيط، ص ١٦

(٩٠) المصدر السابق، ص ١٠٧

(٩١) المصدر السابق، ص ١٥١

(٩٢) المصدر السابق، ص ٦٧

(٩٣) المقالة لعباس محمود العقاد، مجلة الهلال، المجلد ٦٥، الجزء ١٠، ١٩٥٧، ص ٨

(٩٤) المقالة لعباس محمود العقاد، مجلة الهلال، يوليو، ١٩٦٣، ص ٨

عنـوان المقالـة

عنوان المقالة له تأثيره فى إثارة اهتمام القارىء ولفت انتباهه؛ فالعنوان الجيد يدل على روح الكاتب ووجهته، ويحمل القارىء على استطلاع مقالته والاستمتاع بها.

وكاتب المقالة الناجح يحرص على أن يكون اختياره لعنوان مقالته جذابا يحرك جانب التطلع عند القارىء، ويشحذ التوقع الممتع لديه، ويترك انطباعا قويا فى نفسه، فيدفعه إلى أن يكشف ما وراء هذا العنوان.

ويصل الكاتب إلى اختيار العنوان الجيد بوسائل متعددة من بينها المهارة فى اختيار الألفاظ، والإيماءات اللماحة، والإشارات اللبقة التى تدل على ذكاء صاحبها. وهذا يتطلب من الكاتب البعد عن العناوين التعليمية المباشرة، مع المحافظة على عنصر الصدق فى العنوان لكى يحتفظ الكاتب بثقة قارئه.

وقد يستمر العنوان الواحد لسلسلة من المقالات فى الموضوع الواحد مثل عنوان (قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء) للشيخ على يوسف فى صحيفته (المؤيد)؛ فقد كان عنوانا لعدد من المقالات صورت حوادث هذه الفترة وبلغت أربع عشرة مقالة.

وقد يتخذ الكاتب عنواناً عاماً ثابتاً يكتب تحته مقالات كثيرة بعناوين فرعية متجددة مثل العنوان العام الثابت (فى ضوء المصباح) للدكتور زكى نجيب محمود فى مجلة «الثقافة» القديمة، ومثل عنوان (خواطر حرة) لعبد الرحمن الشرقاوى فى صحيفة «الأهرام» حديثا.

وألوان العناوين فى المقالة لا يمكن حصرها، ولكننا نورد هنا – على سبيل المثال – طائفة منها؛ فمنها ما يكون جزءًا من بيت شعرى مثل عنوان (عيد بأية حال عدت)،[٩٥] ومنها ما يدفع إلى استثارة العواطف مثل عنوان (ويحكم

(٩٥) مقالة للدكتور محمد عوض فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، بتاريخ ١٠ من أغسطس ١٩٤٨

هبوا)،[٩٦] ومنها ما يكون مثلاً مثل عنوان (على نفسها جنت براقش)،[٩٧] ومنها ما يرد فى صورة تساؤل مثل عنوان (ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟)،[٩٨] ومنها ما يحمل فكرته بوضوح مثل (لست أومن بالإنسان)،[٩٩] ومنها ماهو تقرير لخلاصة المقالة مثل (أعذب الشعر أصدقه)،[١٠٠] ومنها ما يحمل عنوانا مباشرا مثل (مركب النقص عند اليهود)،[١٠١] ومنها ما يتضمن سخرية كاتبه مثل (يد من حديد فى ذراع من جريد)[١٠٢] و(على فيض البخيل)،[١٠٣] ومنها ما هو طريف ومشوق، ويحمل القارىء على التساؤل، ويُعَدُّ عنوانا جذابا، مثل عناوين: (رجل يخرج النور من فمه)،[١٠٤] و(جنة العبيط)،[١٠٥] و(بيضة الفيل)،[١٠٦] و(قصاصات الزجاج)،[١٠٧] و(الجمل اليهودى وسم الخياط)،[١٠٨] و(الشيطان رجل الساعة).[١٠٩]

---

(٩٦) مقالة لمحمود محمد شاكر فى مجلة الرسالة، ٧٥٧، بتاريخ ٥ من يناير ١٩٤٨

(٩٧) مقالة لنقولا الحداد فى مجلة الرسالة، العدد ٧٦٧، بتاريخ ١٥ من مارس ١٩٤٨

(٩٨) مقالة للدكتور أحمد أمين فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، بتاريخ ٢٧ من يوليو ١٩٤٨

(٩٩) مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه (جنة العبيط)، ص ١١٤

(١٠٠) مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه (جنة العبيط)، ص ١٥١

(١٠١) مقالة لعلى رفاعة الأنصارى فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٤٨

(١٠٢) مقالة لعباس محمود العقاد فى صحيفة البلاغ اليومية بتاريخ ٥ من يوليو ١٩٢٨. وهى تعقيب من العقاد على قول محمد محمود رئيس وزراء مصر آنذاك: «إنه سيضرب بيد من حديد».

(١٠٣) مقالة لعباس محمود العقاد فى صحيفة الأساس بتاريخ ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٠، وهى عن مصطفى النحاس زعيم الوفد حينئذ. وقد عمد العقاد فى عنوان المقالة إلى تحوير المثل المشهور «على فيض الكريم».

(١٠٤) مقالة للدكتور إسحق موسى الحسينى (عن الشيخ محمد عبده) فى مجلة المجلة، العدد ٤٤، بتاريخ أغسطس ١٩٦٠

(١٠٥) مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه الذى يحمل العنوان نفسه، ص ٤٩

(١٠٦) مقالة فى المصدر السابق، ص ٦٧

(١٠٧) مقالة فى المصدر السابق، ص ٧٣

(١٠٨) مقالة لعلى حيدر الركابى فى مجلة الرسالة، العدد ٩٧١ بتاريخ ١١ من فبراير ١٩٥٢

(١٠٩) مقالة للدكتور أحمد أمين فى مجلة الهلال، الجزء الثالث من المجلد الستين، بتاريخ مارس ١٩٥٢

بين المقالة الأدبية والصحافة

يتبين لمتتبع تاريخ المقالة فى أدبنا العربى أنها وليدة الصحافة التى ظهرت فى مطلع النهضة الحديثة. ولا نود أن نعرض لتاريخ المقالة مع الصحافة وتطورها وأعلامها فذلك يحتاج لبحث مستقل، بل لعدة بحوث.

ولكن ما هو جدير بالإشارة إليه فى هذا المجال أن كلا من المقالة الأدبية والصحافة تأثرت بالأخرى، ويتضح هذا فى النقاط الأساسية التالية: –

أولا: تأثير الصحافة فى المقالة:

١ – إتاحة الفرصة للتعدد فى موضوعات المقالة، والغزارة فى أفكارها، والتنويع فى مادتها.

٢ – توظيف التعبير، وتطويع اللغة لتنقل أفكار الكاتب لقرائه فى سهولة ويسر.

٣ – ظهور طبقة ممتازة من الكُتَّاب الذين عُنو بفن المقالة، وجعلوها وسيلة مهمة لنقل أفكارهم وشيوع آرائهم بين القراء.

٤ – تنشيط الصحافة للمقالة على نحو ساعدها على التطور، وأتاح لِكُتَّابها الفرصة لنشر مقالات تجمع بين الطرافة والجدِّية، وطرافتها بملاحقتها للتطور الفكرى الدائم، وجِدِّيتها – أو صلابة مادتها – أهَّلتها للبقاء وعدم سرعة تحولها إلى وثائق تاريخية، مثلما تتحول المواد الصحفية الأخرى ذات الطابع الإخبارى الخاص. ولأهمية ما أودعه فيها أصحابها من فكر وإبداع يحرصون على حفظها من الضياع بجمعها بعد ذلك فى كتب.

ثانيا: تأثير المقالة فى الصحافة:

١ – لمَّا كان كُتَّاب المقالة الأدبية عادة من رجال الأدب والفكر الدارسين للغة العربية، وطرائق تعبيرها فقد كان من الطبعى أن يعمد كُتَّاب هذا الفن الأدبى الذى يُنشر فى الصحف إلى إيجاد أسلوب عربى جديد يقوم على الترسل

والوضوح والسرعة والتركيز. وهى الصفات التى تكسب أسلوب المقالة أصالته. وقد كان لهذا الأسلوب أثره الواضح فى رفع مستوى لغة الصحافة.

٢ ـ أسهمت المقالة الأدبية فى خدمة التعبير الصحافى بأن خلصته من آفة الأفكار الشائعة غير المحددة المنعكسة فى اللغة، وقرَّبته من أسلوب الدقة فى التعبير، نتيجة تحديد الأفكار ووضوحها فى ذهن الكاتب قبل الشروع فى كتابته.

٣ ـ خلصت المقالة بعض التعبيرات الصحفية من سمة التجميع الذى يؤدى فى الغالب إلى الاستدراك والحشو، ووجهتها وجهة التركيز والبناء والترابط الفكرى والفنى فى تناول الموضوع وفى التعبير عنه.

٤ ـ ساعدت المقالة الأدبية ـ بما قدمته من أساليب راقية لكتَّاب مبرزين ـ على تنمية الحس الأدبى لدى قراء الصحافة بتعودهم قراءة التعبيرات السليمة ومطالعة الصور الأدبية الجميلة.(١١٠)

(١١٠) وفَّى الدكتور محمد مندور هذه الجوانب بتفصيل فى محاضراته عن المقالة الأدبية بمعهد البحوث والدراسات العربية فى العام الجامعى ١٩٦٥/٦٤.

القسم الثاني

وَظيفَة المقَالَة الأدبيَّة فى العصْر الحدِيث

وظيفة المقالة الأدبية فى العصر الحديث

النظرة الشاملة لحياتنا الأدبية ولفنون الأدب فى العصر الحديث تُبين لنا أن المقالة كانت ولا تزال اللون الغالب فى النتاج الأدبى، والفن الذى تناولته بكثرة أقلام الأدباء المحدثين، والقالب الذى عولجت من خلاله مختلف القضايا والظواهر الأدبية؛ فالعدد الكبير من أمهات الكتب التى أسهمت فى التطوير الأدبى، وفى البحث عن أصالتنا الخاصة من خلال التيارات التى تمور بها حياتنا الأدبية، وفى تناول قضايانا الأدبية والنقدية. هذا العدد من الكتب الذى نهض بهذه الوظيفة يضم مجموعة من المقالات نشرها كُتَّابها أول الأمر فى المجلات والصحف، ثم جمعوها فى كتب أصبحت اليوم جزءًا من تراثنا الحديث، ولعبت أكبر الدور فى تطوير حياتنا الأدبية والفكرية[1]. وبذلك أصبحت المقالة الشكل الأدبى الغالب فى العصر الحديث.

ولا تخفى علينا المعارك الأدبية التى استعرت بين الأدباء، وشحذت فيهم الهمم، ونشطت الأقلام، وأبرزت تيارات، وحددت اتجاهات، وقدمت

---

(١) من هذه الكتب على سبيل المثال وليس الحصر:
لعباس محمود العقاد:
-الفصول، خلاصة اليومية، ساعات بين الكتب، مطالعات فى الكتب والحياة، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى. وغيرها
ولإبراهيم عبد القادر المازنى:
-حصاد الهشيم، قبض الريح. وغيرها
وللدكتور طه حسين:
-حديث الأربعاء، فى الصيف، من بعيد. وغيرها
ولمصطفى صادق الرافعى:
-تحت راية القرآن، وحى القلم. وغيرها
ولأحمد حسن الزيات:
-من وحى الرسالة
وللدكتور محمد حسين هيكل:
-ثورة الأدب
وللدكتور أحمد زكى:
-ساعات السحر. وغيرهم

مدارس كان لها أكبر الأثر فى تطوير حياتنا الأدبية والنقدية، مثل معارك عباس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعى، والدكتور طه حسين، وإبراهيم عبد القادر المازنى، وعبد الرحمن شكرى، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور زكى مبارك، وأمين الخولى، وغيرهم.

فكانت المقالة هى الفن المفضَّل لعرض كل واحدٍ منهم لوجهة نظره والدفاع عنها، وتفنيد آراء خصمه وبيان خطلها، بصرف النظر عمًّا شاب بعضها من روح نزالية عنيفة.

كما أن المقالة كانت أسبق من الشعر غالبا فى عرض القضايا الوطنية والمشكلات الاجتماعية ومعالجتها. ثم جاء الشعراء بعد ذلك وجعلوا من أنفسهم الصف الثانى من صفوف المصلحين فى المجالين الوطنى والاجتماعى؛ فكان كلما ارتفع صوت من أصوات المصلحين فى مقالة برأى من الآراء، أو بفكرة من الأفكار سمع الناس بعد ذلك صوت الشاعر يصوغ فى قالبه الشعرى تلك الآراء وهذه الأفكار.

وآية ذلك أننا نرى فى دواوين الشعر الحديث أبواباً خاصة بالاجتماعيات والوطنيات. وإذا ذهبنا نؤرخ لما اشتملت عليه هذه الأبواب من القصائد وجدنا أنها نُشرت على أثر مقالة أو مقالات فى هذا المعنى.[٢] فكانت المقالة تسمح للفكرة بأن تظهر ثم تُصطفى بعد ذلك.

كما كانت المقالة بمثابة مدرسة تربت فيها جمهرة كبيرة من الناشئة الأدبية حتى صقلت مواهبهم، وتحددت ملامح كتاباتهم. ولا يقتصر الأمر على الناشئة وحدهم بل عالجها كثير من الأدباء المشهورين ونبغ فيها عدد غير قليل منهم، مثل: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازنى، وأحمد حسن الزيات، والدكتور طه حسين، والدكتور أحمد أمين، وعبد العزيز البشرى والدكتور زكى مبارك، ومصطفى صادق الرافعى، ومصطفى لطفى المنفلوطى، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور زكى نجيب محمود، وشكيب أرسلان، وجبران خليل جبران، والدكتور يعقوب صروف، وفرح أنطون، وعمر فاخورى، وميخائيل نعيمة.

---

(٢) انظر د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب فى مصر، ص ٦٧ ومابعدها.

بل كان من هؤلاء من تأسست مكانته الأدبية على كتابة المقالة وإجادته فيها. ولم تكن معرفة القراء به، وتقديرهم لأدبه من خلال فن آخر من الفنون الأدبية من شعر أو قصة أو مسرحية أو تراجم.

وأبرز هؤلاء أحمد حسن الزيات، وعبد العزيز البشرى، ومصطفى صادق الرافعى، والدكتور أحمد أمين، والدكتور زكى مبارك، والدكتور زكى نجيب محمود.

ونستطيع أن نقدر مدى تأثير المقالة فى حياتنا الأدبية والنقدية لو تمثلناها خالية من هذه المقالات التى تضمنت آراء الدكتور طه حسين فى الأدب وتذوقه، ومواقف عباس العقاد فى النقد وفى القضايا الفكرية، ودفاع أحمد حسن الزيات عن البلاغة وجماليات التعبير، واعتزاز مصطفى صادق الرافعى بالتراث العربى وصوره البيانية، ودعابة عبد العزيز البشرى وصوره الفكاهية، وشفافية الأسلوب لدى ميخائيل نعيمة ونظراته الإنسانية، وعناية الدكتور أحمد أمين بالفكرة، وتأثير إبراهيم عبد القادر المازنى فى تطوير الأسلوب، وإسهام الدكتور محمد مندور فى التعريف بالقضايا النقدية، ودعوة الدكتور زكى نجيب محمود إلى الأخذ بالمنهجية والتفكير العلمى، وحرص الدكتور عبد القادر القط على العناصر الجمالية فى النقد.

أكان يصبح هذا كله فى مثل الذى له الآن من الغنى والثراء والانتشار والتأثير لولا هذه المقالات الأدبية التى تولت أمره؟

فكانت المقالة الأدبية إذن عاملاً مهماً من عوامل تنشيط الحركة الأدبية والفكرية لا يقل عن أى عامل آخر من العوامل التي يُكثر المؤرخون للأدب والفكر فى الحديث عنها. ويمكننا أن نقول باطمئنان بأنه مامن شاعر، أو كاتب قصة، أو مبدع مسرحية، أو منشىء ترجمة إلا وكتب المقالة الأدبية وله فيها نتاج لا يمكن إغفاله أو التغاضى عنه.

فجميع هذه المجالات والأنشطة للمقالة الأدبية توضح لنا إذن وظيفتها فى العصر الحديث، وتقف بنا على المعالم الرئيسة لهذه الوظيفة.

وبطبيعة الحال لا يمكن استيفاء وظيفة المقالة إزاء كل قضية أو كل ظاهرة فى

بحث واحد، ولهذا سنقتصر على بيان وظيفتها إزاء قضية واحدة، وفى زمن محدود، وفى إطار معين حتى يمكننا الحصول على نتائج مقنعة.

فأما القضية فهى قضية فلسطين، تلك القضية التى فرضت نفسها على العالمين العربى والإسلامى، وهزّت الوجدان فيهما، واستقطبت اهتمامهما منذ أكثر من ثلاثين عاما وحتى يومنا هذا. وأما الزمن المحدود فهو عام ١٩٤٨م، وهو أهم أعوام القضية. وأما الإطار المعين فهو أشهر المجلات الأدبية فى مصر آنذاك[٣] والتى لا يُنكر دورها فى تطوير حيواتنا الأدبية والنقدية والفكرية على السواء.

---

(٣) فسحت المجلات الأدبية فى مصر صفحاتها للكُتّاب العرب جميعهم من مختلف أنحاء الوطن العربى. وبذلك تكون هذه المجلات قد عكست بصدق ووضوح موقف المقاليين العرب من قضايا عديدة، وأبرزها قضية فلسطين. كما سيتضح فى نهاية البحث، وفى القائمة الببليوجرافية الملحقة به.

مثال تطبيقى لوظيفة المقالة الأدبية فى العصر الحديث

المقالة الأدبية وقضية فلسطين فى عام ١٩٤٨م

استأثرت قضية فلسطين باهتمام الأدب العربى، وهزت حوادثُها وجدانه، وحركت فيه مشاعره وأحاسيسه، وشحذت عقله وفكره، فراح كل أديب يُعبِّر عن إحساسه بها ورأيه فيها من خلال فنه الذى ارتضاه، وبطريقته الخاصة فى انفعال وحماسة، أو فى هدوء وَرَوِيَّة، ويتناول جانبا أو جوانب من القضية مسلطا عليها بقلمه ما يصور المشاعر، ويفسر الحوادث، ويوضح الطريق، ويحذر من الأخطار، ويستثير الحمية، ويقوى العزائم، ويؤكد الواجبات.

وبتتبع المقالة الأدبية فى أشهر المجلات الأدبية فى مصر آنذاك تبين لنا أنها تناولت الجوانب التالية من القضية[٤].

١ ـ بيان جانب الدين من القضية:

أ ـ تقول إحدى المقالات مستصرخة العرب فى أسلوب حماسِيٍّ غاضب يُعبر عن عاطفة جياشة:

«انظروا! فهذه فلسطين قد اجتمعت عليها الأمم على أن تُمَكِّن فيها لأنذال يهود مكانا يتبوأه طغاة المال، وطواغيت الفجور، وأبالسة الشر، وقد أخذوا يمدونهم بالمال والسلاح ليقهروكم وتكون لهم الكبرياء فى الأرض.... أيتها العرب! أيها المسلمون إنها ساعة فى تاريخكم ليس بعدها إلا النصر أو الهزيمة. وكل امرىء منكم يحمل تبعة لا يسقطها عنه عذر، ولا يعذره أداء حقها شىء. وأنتم أربعمائة مليون نسمة لا عصابة قليلة فى الأرض؛ فإن كنتم صفا واحدا وبنيانا مرصوصا فاعلموا أنه لن يغلبكم شىء، ولن تهدَّ هذا البنيان قوة مهما

---

(٤) ما يرد بين القوسين شاهد على الجانب الذى نتناوله. وقد أوردناه بنصوصه التى تقدم أقلاما مختلفة بأساليب متعددة، وتضم أفكارا متنوعة وطرائق شتى فى عرضها وفى رؤيتها. وذلك لكى تكون الصورة معبرة وصادقة.

بلغت على ظهر هذه الأرض، فتماسكوا وتقاربوا وتعاونوا، ولا تدعوا ثغرة يدخل منها عليكم عدوكم لينقض هذا البنيان الذى بناه آباؤكم وأسلافكم فى آلاف السنين، وأنتم الأعلون إن شاء الله، وليهود الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[٥]

ب - ومقالة أخرى ذات أسلوب هادىء تصور نظرة استخفاف الغربيين بالمسلمين، وتوضح الطريق لأبناء الأمة الإسلامية، حتى تنتصر لنفسها من أهل البغى، تقول المقالة:

«هاهى ذى تُقَسَّم فلسطين وبها إحدى القبلتين وثانى الحرمين قسمة ضيزى بين العرب الأصلاء واليهود الدخلاء، وتحمل الصهيونيين على ضمائرها وبواخرها من أركان الأرض إلى فلسطين لينصبوا فيها الصليب للحق كما نصبوه من قبل لعيسى، ويبذروا فى القدس الشقاق للناس كما بذروه فى يثرب لمحمد!

ليت شعرى ما جريرة العرب والمسلمين على الأمم الأوربيين والأمريكيين؟ هل جريرتهم عليهم أنهم فتحوا العالم وطهَّروه، وأعلنوا دين الله ونشروه؟ قد يكون مع الفتح تِرة العنصرية، ومع نشر الدين تعصب الكنيسة، ولكن ترة المقهور وتعصب الكاهن لم يكونا وحدهما السبب فى ذلك الاستخفاف الدولى بالإسلام والعروبة. إنما السبب الأقوى فيما أعتقد أن المسلمين اعتمدوا على الحق دون القوة، وعوَّلوا على القول لا على الفعل، واعتقدوا فى الشخص لا فى المبدأ، ونسوا أن دينهم قرآن وسيف، وتاريخهم فتح وحضارة، وشرعهم دين ودنيا، وحربهم جهاد وشهادة، وزعامتهم خلافة وقيادة.

فهل آن لأبناء الأمة الوسطى وورّاث الدعوة الكبرى أن يذكروا ما نسوا، ويجددوا ما طمسوا، ويعلموا أن الحق هو القوة، وأن القوة هى الوحدة، وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد، قام عليها تاريخهم القديم، ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد!»[٦]

---

(٥) محمود محمد شاكر (ويحكم هُبُّوا)، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨، ص ٢١-٢٣

(٦) أحمد حسن الزيات: المسلمون فى معترك الخطوب، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨، ص ٢

٢ ـ إظهار المشاعر العربية نحو النكبة:

صوَّرت المقالة الأدبية مشاعر الكُتَّاب إزاء نكبة فلسطين؛ فعبَّر كل كاتب عما يجول بخاطره؟ وما يعتمل فى نفسه، وما نحسب هذه المشاعر إلا مشاعر العرب والمسلمين جميعهم.

أ ـ تقول إحدى المقالات بعد سقوط حيفا فى أيدى الصيهونيين: «والآن ماذا بقى من حيفا هذه التى عرفنا. ماذا أبقت منها بلاغات الزعماء، وتصريحات الرؤساء، وأحقاد قادة العرب.

ياويلى حين أتمثل أى شيء أبقت الحادثات من حيفا. إنى لأجد النار التى تكوينى، والسياط التى تؤذينى. إنى أهرب من نفسى؛ لأنى أخجل من نفسى أن أقول الذى كان. ليس فى يدى هذه الأداة الطيعة التى تنساب فوق هذه الأوراق؛ فقد كفرت بالأقلام والأوراق.

وماذا يقول الكاتبون إن كتبوا. ويح الذين يسألونهم أن يكتبوا، كأنما يسألونهم أن يقصوا عليهم قصة من تاريخ قديم لأمة منقرضة، يزينون حواشيها ببلاغة القول، ويفيضون على أطرافها بريق الأدب، ويذهبون ببعض مواقفها فى شطحات الخيال، وينمقون نظمها بروعة الأساليب، ثم يدعونهم أن ينعموا بما فيها من فن أو بيان، والمصيبة التى تحل فى فلسطين مصيبتهم والموطن الذى يُغتصب وطنهم، والأعراض التى تُنتهك أعراضهم، ومواكب الذين أُجلوا عن ديارهم أمام أعينهم فى كل عاصمة من عواصم العرب، كأنما لايزال هناك حاجة إلى حمية تُستثار، وحماسة تُوقظ، ومقالات تُكتب وتُنشر».[٧]

ب ـ وتحمل مقالة أخرى شحنة من المشاعر الفياضة، والأحاسيس الملتاعة فتقول: «أكثر ما يتمثل فى الخيال، أو يخطر على البال سوانح هى بالشعر أشبه، وإلى الغناء أقرب، فإذا هَمَّ باقتناصها القلم اندلعت من جوانب النفس زفرات وقودها الصهيونيون واللاجئون والحرب والهدنة وترومان وستالين وبرنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم، فأنصرف عن الغناء إلى الرثاء،وأنتقل من الضحك إلى البكاء، وأهم بتلحين الألم، وتوقيع الأنين، فتنبعث من نواحى العقل

(٧) شكرى فيصل: عار لا يُمحى، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٥٦

أصوات تستنكر وتستنفر وتقول: لقد خطبنا حتى جفَّ الريق، وكتبنا حتى نفد المداد، وبكينا حتى نضب الدمع. فما الذى أغنى عنا كل أولئك؟....

إن نكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطتا على كل حاسة، وغلبتا على كل عاطفة، فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن».[٨]

٣ – بيان صفات الصهيونيين:

حرصت المقالة الأدبية على أن تُبين صفات الصهيونيين، وتُوضح سماتهم النفسية، وتكشف خباياهم، وتفصح عن مآربهم، بهدف إعطاء القارىء العربى صورة حقيقية عنهم مستقاة من تاريخهم البعيد وتاريخهم القريب وواقعهم الراهن.

تقول المقالات:–

أ – «هم ليسوا خصما شريفا يحارب طبقا لأصول الحرب وقواعدها. وقد عُرف الصيهونيون منذ نشأتهم بأنهم لا يراعون عهداً ولا ذمة، وأنهم لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الشرور والآثام. ولذلك لم تلبث الحرب أن كشفت عن دناءةٍ وخسةٍ لا يعرف الدهر أحط منها؛ إذ قُبض على جنودهم وهم يلقون المياه الملوثة بالجراثيم فى آبار الشرب بالقرب من غزة!، وإذ جعلوا من الراية البيضاء – وهى شعار السلم والأمان – أداة للخيانة والغدر».[٩]

ب – «ما ينقم اليهود من العرب إلا أنهم حموهم وأحسنوا إليهم، وفسحوا لهم فى ديار العرب، يعيشون أحرارا، ويغشون معابدهم كما يشاءون، ويتلون أمورهم الدينية دون حرج.

وعاش اليهود فى كنف العرب أحرارا فى فلسطين وغير فلسطين، وتبحبحوا فى الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة، وساروا سيرتهم فى عبادة المال والتوسل إليه بكل الوسائل فوجدوا مرتعاً خصباً ومتقلباً فسيحاً. وقد بلغوا فى أقطار العرب مناصب عالية............ ثم ضرب الدهر ضرباته، ودار الفلك

---

(٨) أحمد حسن الزيات: مالىَ لا أكتب؟ مجلة الرسالة، العدد ٧٩٣، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨، ص ١٠٢٩

(٩) د. محمد عوض محمد: بين السلم والحرب، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨، ص ٢

دوراته، وجاء اليهود إلى فلسطين يزحمون أصدقاءهم فى ديارهم، ويستعينون على حُماتهم بالأمم التى كرهتهم وأذلتهم وشردتهم؛ ففقدوا بأعمالهم صداقة العرب، ولم يكن لليهود صديق سواهم فى هذا العالم.

وينسى اليهود تاريخهم وتاريخ العرب كله، ويرمون العرب بكل ما علمتهم أوروبا من عدوان، وبكل ما فى سجاياهم وتاريخهم من ختل وعداوة للبشر جميعا إلا من كان يهوديا».[10]

جـ - «اليهود هم هم منذ القدم إلى اليوم، سواء كانوا من سلالة إبراهيم، أو من سلالة أشكيناز.[11]

[ثم أوضح الكاتب كثيرا من الفظائع والمخازى التى وردت فى التوارة، وبيَّن أنها من وضعهم، وأن الله تعالى يبرأ مما جاء فيها]؛ لأن الله لا يوحى بمثل هذه المخازى ولا تكون قصص المخازى كتابا مقدسا».[12]

د - «إن الصهيونيين قد رأوا منذ زمن أن من الملائم لخطتهم أن يكون بينهم طوائف ذات أسماء خاصة يصفونها بأنها من الخوارج، يَكِلون إليها ارتكاب الجرائم البشعة لكى يستطيعوا أن يتبرأوا منها، وأن يتظاهروا بالبحث عنها والقبض عليها. وقد يتسلمون منها خطابات التهديد والوعيد إلى غير ذلك من الحيل الشفافة التى لا تخدع حتى السذج من الناس».[13]

هـ - «إن اليهودى لا يعرف وطناً غير صهيون، ولا يألف جنساً غير يهوذا، فمن يزعم غير ذلك فليسأل كل أمة فى الأرض، وكل عصر فى التاريخ ماذا جنت اليهودية على الإنسانية؟ ألم يكن لها فى كل ثورة وقود من الدسائس والأضاليل؟ ألم يكن لها فى كل عقيدة مفسدة من البدع والأباطيل؟ ألم يكن لها فى كل دولة جاسوسية تورث العداء والحرب؟ ألم يكن لها فى كل أمة أسواق

---

(١٠) د. عبد الوهاب عزام: (الفريقان المتحاربان فى فلسطين، الكرم واللؤم)، مجلة الرسالة العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٨٥

(١١) [الأشكينازيم: اليهود الغربيون، والسفارديم: اليهود الشرقيون].

(١٢) نقولا الحداد: (هؤلاء هم اليهود قديما وحديثا وأولا وآخرا)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٩، ١٦ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٩١٥-٩١٧.

(١٣) د. محمد عوض محمد: (مكافأة الغدر)، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨، ص ٢.

تنشر الغلاء والكرب؟ ألم يكن لها فى كل مدينة «حارة» تشيع الفحش والفجور؟ ألم يكن لها فى كل صحافة لسان يذيع البذاء والهُجْر».[14]

و - «اليهود كالحرباء يتلونون بكل لون لكى يصلوا إلى أغراضهم. فيمكن اليهودى أن يكون رأسماليا تارة واشتراكيا أخرى. ويمكن أن يكون أرستقراطيا أو ديمقراطيا، ويهوديا أو مسلما أو نصرانيا. يمكن أن يكون أى شيء إذا كان يظفر بالسيطرة».[15]

٤ - التحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام:

ارتبط بيان صفات الصهيونيين، وكشف خباياهم ومعرفة أهدافهم بالتحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام. وقد ظهر هذا التحذير فى صور شتى؛ تتجلى فى النماذج التالية ففى النموذج (أ) تحذير من خطر النفوذ الإعلامى للصهيونية فى العراق، وفى النموذج (ب) تحذير من خطر النفوذ الاقتصادى لهم فى مصر، وفى النموذج (جـ) عرض لصور بشعة من حرب الميكروبات التى لم يتورع الصهيونيون من شنها على العرب، وفى النموذج (د) تحذير حاسم للعواصم العربية إذا ما تخلفت عن أداء واجبها، وفى النماذج (هـ)، (و)، (ز)، (ح) بيان لخطر دولة الصهيونيين على المنطقة، وتحذير من طمعها فى الدول العربية المجاورة، وتوضيح لنفوذ أهلها فى الشرق والغرب على السواء.

ومما يثير الأسى فى النفس أن كثيراً من هذه التحذيرات لم يُلتفت إليها؛ فكانت النتيجة ما نراه الآن من واقع مؤلم لا يرضى عنه عربى أو مسلم.

وإليك هذه النماذج من المقالات:

أ - «قرأت أخيرا أن فى العراق حركة صحفية هائلة؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد عديدة، وأُنبِئنا بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها. وإذا كان اليهود قد مدُّوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا فى مصر أكثر من

---

(١٤) أحمد حسن الزيات: (حكم من أحكام الله)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٤٢.

(١٥) نقولا الحداد: (اليهودية = الصهيونية = الشيوعية)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٩٩.

هذا وأجهر....... فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيونى تتغلغل فى الرأى العام العربى أصبح العرب خُضَّعا وسُجَّدا عقلاً وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيونى».[١٦]

ب - «هل يصدق القارىء الكريم أن أحد هؤلاء [يقصد كاتبُ المقالة بعضَ الوجهاء من ذوى النفوذ فى مصر فى ذلك الوقت] هو عضو فى ٤٢ شركة، وأن وجيها عظيما يتقاضى من بعض الشركات ٢٢ ألف جنيه سنويا، ولا يخجلون من أنهم بنفوذهم الوهمى يُربِّحون هذه الشركات اليهودية الملايين».[١٧]

جـ - «ماذا يُفسر المدافعون عنهم تعمدهم تسميم الآبار فى غزة بميكروب الكوليرا والطيفوئيد لكى يباد الجيش المصرى عن آخره. والله إن الذى لم يفعله هتلر بهم فعلوه هم بالعرب. تورع هتلر عن استعمال الغازات السامة وعن تلويث المياه بالميكروبات المرضية وأما هم فلا يتورعون».[١٨]

د - «وليصيبن بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها: نفسى نفسى، وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده».[١٩]

هـ - «هل عرف أولئك الذين لامونى فيما كتبت أن هؤلاء الصهيونيين الذين قرَّع بهم العالم فى الجرائد والبرلمانات لأجل هذه الفظاعات [يقصد كاتب المقالة ما ارتكبه الصهيونيون فى دير ياسين وفى بلدة ناصر الدين، وغيرها من جرائم وحشية] يستهزئون بهذا التقريع، ويفتخرون بهذه النذالة........ هؤلاء أيها العاذلون هم اليهود الذين يريدون أن ينشئوا دولة يهودية فى فلسطين تكون

---

(١٦) نقولا الحداد: (الصحافة فى الميثاق الصهيونى)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٩٤.

(١٧) نقولا الحداد: (لو أصبح لليهود دولة)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٤، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨، ص ١٠٥٨.

(١٨) نقولا الحداد: (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨، ص ٦٩١.

(١٩) عبد المنعم خلاف: (حديث إلى العرب)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨، ص ١٤٠٤.

دولة الدول الصهيونية التى تضع تحت أقدامها جميع دول العالم. هؤلاء أيها اللاحون هم الذين يجب أن نجاورهم، ونعيش بين ظهرانيهم عبيداً أذلاء إذا نجحوا. هؤلاء هم شعب الله المختار الذى يقول إن الجوييم غير اليهود من جميع الأمم هم بهائم». [٢٠]

و – «لقد أثبتت الحوادث التى تجتاح فلسطين الآن صحة ما كان يُقال ويُكتب عن أطماع اليهود فى فلسطين والأقطار العربية الأخرى؛ فالصهيونية العالمية ومن ورائها اليهودية العالمية لا يقتصر طمعها على جزء من فلسطين ولا على فلسطين كلها لتكون لها دولة خاصة.

ولكنها تريد هذا الجزء المقدس من الوطن العربى الكبير لتتخذ منه مركزا لتجمع اليهود ولتركيز الاقتصاد اليهودى بمختلف نواحيه، ومنه يهاجم الصهيونيون الأقطار العربية اقتصاديا وحربيا، ومنه تُملأ الأسواق العربية بالمصنوعات اليهودية، ومنه تزحف الجيوش الجرارة مجهزة بأحدث أنواع الأسلحة الفتاكة فتقتحم حدود فلسطين شمالا وشرقا وجنوبا، أو جهة من هذه بعد أخرى، فتحتل الأقطار العربية وتخضعها لمشيئتها........

إن هذا الخضوع والموقف الذى وقفته الدول العربية بقبول الهدنة والانصياع لأوامر المستعمرين يزيل ما للدول العربية من مكانة بين الدول، ويفقد ما لها من هيبة وكرامة........

إن العاجز مع عصابات الصهيونيين لا يستطيع أن يأتى عملا مع الآخرين». [٢١]

ز – «إن قيام الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى والإسلامى إنما هو خطر داهم على مستقبل الأمم العربية والإسلامية، وعلى كيانها السياسى والاجتماعى والدينى». [٢٢]

---

(٢٠) نقولا الحداد: (سياسة الصهيونيين المالية ونذالتهم)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل ١٩٤٨، ص ٤٦٧، ٤٦٨

(٢١) د. يوسف هيكل: (التعبئة العامة)، مجلة الثقافة، العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨، ص ٢٠١

(٢٢) محمد عبد الله عنان: (الخطر الذى نكافحه)، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨، ص ٦

ح – «إن هذا النفوذ [يقصد الكاتب النفوذ الصهيونى فى الشرق والغرب] هو الذى أعمى الأمريكان والروس معا ومعهم عشرات الدول الأوروبية عن مأساة العرب فى فلسطين».[٢٣]

٥ – مناقشة حُجَّة اضطهاد اليهود وتفنيدها:

تناولت المقالة الأدبية – فيما تناولت من قضية فلسطين – موضوع اضطهاد اليهود بوصفه حُجة يحتجون بها، ويتخذونها ذريعة يتوسلون بها لتحقيق مآربهم، فناقشت المقالة هذه الحُجة وفندتها كما يظهر ذلك من النموذجين التاليين:

أ – «يدعى اليهود أن الذى حملهم على اختلاق دولة يهودية هو أنهم مضطهَدون فى كل مكان؛ لأنهم أقلية مسحوقة فى كل مكان، فإذا صار لهم دولة لجأوا إليها فرارا من الظلم والاضطهاد.

إذا صدق زعمهم هذا فليعتبوا على ربهم لأنه صرح فى القرآن الشريف أنهم: ضُربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ. وليسألو ربَّهم يهوَه رب الجنود لماذا ضربهما عليهم دون سائر البشر.

والله ماهم بمضطَّهَدين بل هم مضطهِدون. كيف يكونون مضطهَدين وقد جمعوا ثروات العالم وبها يتحكمون بالضعفاء والمنكوبين..... العالم لا يضطهدهم ولكنه يكره أعمالهم وتصرفاتهم المناقضة للإنسانية، ألا يتساءلون فيما بينهم لماذا يكرههم جميع الأمم؟ فى كل بلد أقليات فلماذا لا تشتكى هذه الأقليات من الاضطهاد؟

لماذا لا يعقدون مؤتمرا شاملا من أساطينهم من جميع جهات العالم ليبحثوا سبب بغض العالم لهم فيزيلوا السبب،ويعودوا إلى حظيرة الأمم محبوبين مكرمين ككل أمة وشعب؟

لا نظنهم يجهلون سبب كره العالم لهم. إنهم يعلمون السبب، وهو أنهم يكرهون العالم كله؛ لأن كل من ليس يهوديا هو فى نظرهم «جوييم» ومعناه فى

---

(٢٣) عمر حليق: (الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨، ص ١٣٩٥

لغتهم نجس دنس رجس. وهم يتصرفون مع الناس بمقتضى هذه العقلية الخبيثة». [٢٤]

ب – «إنى لأعتقد مخلصا أن اليهود هم الذين يدعون الناس إلى اضطهادهم؛ فأنت تجد اليهودى يعيش فى أسبانيا مثلا، وينعم بخيراتها، ويتمتع بنفس الحقوق التى يتمتع بها الأسبانيون المخلصون، ومع ذلك فهو يدين بالولاء أولا وأخيرا إلى هيئاته العالمية، ويُؤثِر مصالحها على مصالح البلد الذى رباه وأنشأه، وغذاه بخيراته، وأظله بحمايته». [٢٥]

٦ – إثارة موضوع اليهود المقيمين بالبلاد العربية

تشعبت من قضية فلسطين موضوعات كثيرة حفلت بها المقالة الأدبية. ومن بين هذه الموضوعات موضوع اليهود المقيمين بالبلاد العربية فألقت المقالة ضوءًا يكشف عن جوانبه، ويبصر بعواقب الإهمال فيه، ويساعد فى اتخاذ القرار المناسب لمن بيدهم اتخاذ القرار نحو هؤلاء اليهود. تقول المقالة:

أ – «يدعى اليهود المقيمون فى مصر أنهم مصريون وطنيون؛ فمن الظلم أن يُطلب منهم أن يحاربوا إخوانهم الصهيونيين..... فإذا كان يهود مصر مصريين وطنيين كما يزعمون فيجب أن يتبرعوا ويتطوعوا كإخوانهم المصريين، وإن كانوا صهيونيين فهم إذن أعداء العرب فى قلب بلاد عربية، وبالتالى فهم أعداء مصر نفسها.

وحكمهم فى هذه الآونة الحاضرة حكم الأجانب الأعداء فى مدة الحرب الأخيرة، فيجب أن يُعتقل الطابور الخامس منهم، وكل من يُشتبه فيه بأنه معاون للصهيونيين، وتُصادر أموالهم كما فعلت مصر بأعداء الحلفاء.

وأما أن يبقوا فى البلاد يستغلونها ويترعرعون فيها ثم يبعثون بالأموال وبالمؤونة والعتاد إلى تل أبيب وكر الصهيونية فإن هذا العمل خيانة لمصر ولجميع العرب..... فيا أيها الإخوان اليهود! إن كنتم إخواننا فى الجنسية

---

(٢٤) نقولا الحداد: (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)، مجلة الرسالة، ص ٤٩١

(٢٥) عدنان الكيالى: (اضطهاد اليهود)، مجلة الثقافة، العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨، ص ٢٢

والوطنية فاشتركوا معنا فى قتل الصهيونية، وإن كنتم صهيونيين فاخرجوا من البلاد لأنكم أعداء البلاد، فاختاروا أحد هذين الموقفين».[٢٦]

ب - «إنى أكاد أنشق غيظا حين أرى أعداءنا يقيمون بيننا يقاسموننا رزقنا، ولهم النصيب الأوفر منه. وهم يكيدون لنا ويغدرون بنا، وكل يوم عندنا بينات على خبثهم وغدرهم ليس فى فلسطين فقط بل فى سائر البلاد العربية. وقد تمادى كيدهم حتى رموا القاهرة بقنابلهم.

كيف نسمح لألدِّ أعدائنا أن يعيشوا بيننا، ويغدروا بنا ونحن سكوت لا نتكلم ولا نعمل؟! يجب طردهم ومصادرة أموالهم؛ فهم قوم لا إنسانية عندهم ولا رحمة ولا شفقة. لقد رأيتم ما كان من توحشهم فى دير ياسين وطبريا وغيرهما. فاعلموا أنكم سترون أضعافه إذا ثبت لهم قدم فى وسط البلاد العربية».[٢٧]

٧ - شرح مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وتقديم حل عملى وسريع لهم:

فرضت مأساة اللاجئين الفلسطينيين نفسها على المهتمين بالقضية، وبخاصة فى الأقطار العربية المجاورة لفلسطين، فنشطت المقالة الأدبية تشرح مأساتهم وتصور معاناتهم، وتقدم الحل العملى السريع لهم. وإن كان هذا الحل لم يجد آذاناً صاغية إلا أن ذلك ما تملكه الأقلام. تقول المقالة:

أ - «لم تكن كارثة الفلسطينيين المشردين فى مغادرة ديارهم وتخريبها ونهبها فقط، بل فى ضياع أسباب معايشهم جميعا، وفقد أموالهم، وإضاعة كسبهم ومتاجرهم.

[ثم قدَّم كاتب المقالة الحل بتعويض هؤلاء اللاجئين من أموال اليهود المقيمين فى البلاد العربية؛ فهم يملكون هناك] أموالا وأملاكا وأسهما وأوراقا مالية لا تحصى.

(٢٦) نقولا الحداد: (موقف اليهود فى مصر)، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨، ص ٥٣

(٢٧) نقولا الحداد: (أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٦٠

وقد استنزفوها من ثروة البلاد بلا جهد ولاعناء، وكانوا يساعدون بشيء كثير منها الصهيونيين في تل أبيب».[٢٨]

ب - «عجبت أن يهتم برنادوت وأعوانه (بالشحاتة) للاجئين العرب، ويستغيث بمجلس الأمن تارة وبالمؤسسات الخيرية أخرى كالصليب الأحمر وغيره. عجبت أن يهتم هذا الاهتمام الذى يُشكر عليه قليلا، وأعجب منه ألا يخطر بباله أن أشباه الناس Apes اليهود هم كانوا سبب هذه الكارثة.

وأعجب وأغرب أنه - وهو يترك الحبل على الغارب لليهود - لا يطلب من مجلس الأمن بكل شدة أن يُرغم - إن كان عنده قوة للإرغام - جميع يهود العالم أن يدفعوا أثمان جميع الأرزاق والأموال والأملاك، وكل ما كان فى حوزة العرب، كل هذه التى نهبها اليهودمن بيوت العرب وأملاكهم وحوانيتهم. وهى تقدر بنحو ثلاثمائة مليون جنيه إسترلينى هى الآن فى ذمة اليهود إن كان لليهود ذمم..........

أنستغيث نحن بالأمم لكى تقوم بأود منكوبينا، ويكون لنا عند اليهود ٣٠٠ مليون جنيه. نُذَكِّر الجامعة العربية بهذا الحق الضائع لكى تطالب به برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم. فقبل أن يحكم مجلس الأمن بدولة إسرائيل يجب أن يستخلص من بنى إسرائيل هذا الحق إن كانت تعرف الحق وتحترمه».[٢٩]

٨ - استثارة النخوة العربية:

ارتكب الصهيونيون الكثير من الجرائم الوحشية فى حق الفلسطينيين بهدف القضاء على عدد منهم، وتخويف من بقى ليجلو عن أرضه، كما حدث فى قرية دير ياسين وبلدة ناصر الدين وغيرهما. وقد صوَّرت المقالة الأدبية هذه الجرائم تصويراً صادقاً لا مبالغة فيه ولا ادعاء، تستثير به نخوة العروبة وحميَّة العِرض كما يظهر من النموذج التالى عن مذبحة دير ياسين والاعتداء على النساء فيها:

أ - «انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية، وأمعنت

---

(٢٨) نقولا الحداد: (هذا يوم الحساب: التعويضات والغرامات على اليهود)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨، ص ٨٠٤

(٢٩) نقولا الحداد: (لو أصبح لليهود دولة)، مجلة الرسالة، ص ١٠٨١

فى السكان الآمنين قتلاً وذبحاً فبلغ عدد القتلى ٢٥٠ قتيلا، وكان من بينهم ٢٥ امرأة حاملا، و٥٠ امرأة مرضعا، ٦٠ امرأة أو فتاة ذُبحن ذبح الخراف فى أفظع مظاهر القسوة. ثم جمعوا ١٥٠ امرأة، وبعد أن مزقوا ملابسهن واعتدوا عليهن أركبوهن سيارات مكشوفة، وطافوا بهن الأحياء اليهودية.

وكان الجمهور الصهيونى المتمدن المهذب يرجمهن بالحجارة، ويبصق عليهن، ويشتم دينهن ونبيهن، والجلادون واقفون فوق رؤوسهن يتباهون بهذه البطولة، والجمهور يهتف لهم ويطيل التصفيق. حتى إذا ما أتعبهم الطواف بهن أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبراً وجبروتاً وإرهاباً».(٣٠)

٩ - تأكيد حق العرب فى قضيتهم وموازنته بباطل اليهود:

فى غمرة حوادث القضية ووسط الحرب الإعلامية بين العرب واليهود، تلك الحرب التى عمد فيها اليهود إلى وسائل التضليل لادعاء حق لهم فى فلسطين. فى هذا الميدان نشطت المقالة الأدبية تؤكد الحق العربى، وتدفع به باطل اليهود. تقول المقالة:

أ - «لليهود ماض فى فلسطين، وللعرب ماض وحاضر. لليهود فيها تاريخ انقطع منذ عشرات القرون، وللعرب تاريخ موصول منذ عشرات القرون. لليهود فى فلسطين تاريخ ذليل مشرد انقطع بجلائهم عنها ويأسهم منها، وللعرب تاريخ مجيد عزيز دافع عنها فى غير يأس، واستقر بها فى غير ذلة. لليهود فى فلسطين أحجار مهدومة يبكون عليها هى بقايا الأحداث وفضلات العصور، وللعرب آثار قائمة مشيدة تصل تاريخهم، وتشهد بمآثرهم، وتُكذِّب دعوى اليهود فى كل بقعة. لليهود فى فلسطين صفحات فى الكتب، وللعرب صفحات خالدات فى أوديتها وجبالها ومدنها وقراها.

ولو لم يكن للعرب فى فلسطين إلا أنهم دافعوا الصليبيين فيها وحولها أكثر من مائتى عام حتى أجلوهم عنها، وأقروا مجدهم وتاريخهم فيها لكان هذا كفيلا لهم بحقهم فيها أبد الدهر.

---

(٣٠) على محمد سرطاوى: (مذبحة الأبرياء فى قرية دير ياسين)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو ١٩٤٨، ص ٥٣٢

حق العرب فى فلسطين يقاتل باطل اليهود، وإحسان العرب يقاتل كفران اليهود، وكرم العرب يلاق لؤم اليهود. يتقاتل فى فلسطين الحق والباطل، والخير والشر، والمروءة والنذالة، والأخلاق الإنسانية العالية والطبائع الحيوانية الدنيئة.

والتاريخ العزيز القائم والتاريخ الذليل الميت». [٣١]

ب - «إذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا ويغصبوا ديارنا؛ لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية، فأولى بنا ونحن وارثوها والمالكون لها أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجمومهم عليها. أجل أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديرا لممتلكاته، وأشد حرصا على اقتنائها.

وإذا كان هذا هو المعقول والواجب فى الدفاع عن دار ومتاع خاص فإنه أكثر وجوبا فى الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمات. واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين لأنهم يشترون بها وطناً وأملاً وتاريخاً مزوراً مفقوداً منذ ألفى سنة، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة». [٣٢]

١٠ - تبصير العرب بموقف هيئة الأمم المتحدة من القضية، والتنديد بهذاالموقف:

اعتقد كثير من العرب فى عدالة هيئة الأمم المتحدة، وأنها ستكون مؤازرة لهم مادامو أصحاب حق فى قضيتهم مع اليهود. ولكن الحقيقة المؤلمة غير ذلك، وهذا ما بصَّرت به المقالة الأدبية فى النموذجين (أ) و(ب)، وفى النموذج (جـ) مُخاطبةُ إدانةٍ لساسة هيئة الأمم المتحدة، وفى النموذج (د) إفصاح عن موقف مجلس الأمن المستخذى إزاء اليهود. تقول نماذج المقالة:

أ - «هيئة الأمم نفسها ملومة، وعلى نفسها جنت براقش؛ لأنها لم تكن محكمة للقضاء العادل كما كنا نظن. بل ظهر لنا أنها محكمة صلح لا تقضى بين محتكمين، بل تحاول مصالحة العرب واليهود مصالحة قهرية، ولكنها مصالحة

---

(٣١) د. عبد الوهاب عزام: (الفريقان المتحاربان فى فلسطين: الكرم واللؤم)، مجلة الرسالة، ص ٨٨٦

(٣٢) عبد المنعم خلاف: (حديث إلى العرب)، مجلة الرسالة ص ١٤٠٤

مستحيلة؛ لأنه ما من أحد فى الدنيا يصالحك على بيته. وأنت تحتله عنوة، وتعمد إلى اقتسام شطر منه وليس لك فيه حق لا أولاً ولا آخراً.

أجل لم تكن هيئة الأمم محكمة قضاء، ولا محكمة صلح، بل كانت سوقا للمساومة على المصالح الشخصية على حساب صاحبها؛ فالإنصاف لا يمكن أن يكون رائدها بتاتا، بل كانت ساحة مناوأة بين الدول ذات المصالح التى كانت تتذرع بالمسألة الفلسطينية إلى اقتناص أغراض اقتصادية واستراتيجية ونحوها».[33]

ب - «لقد تعين الكونت برنادوت وسيطا لإقرار السلام بين طلّاب الحق وطلّاب العدوان وهذا شيء جديد فى السياسة وأساليبها. وليس معنى هذا أنه لم يكن من قبل وسطاء بين قوم وقوم، ولكن معناه أن هذا الوسيط ليس وسيطا بين عرب ويهود وهم أصحاب الخصومة الأولى فحسب، ولكنه كذلك وسيط بين الأمم ذوات الآراء المتضاربة فى هيئة الأمم؛ فلقد تورطت بعض هذه الأمم فى إبداء آراء، وبذل اعترافات ليس من السهل تغييرها دون اتهامها بالتقلب، أو إنكارها من بعد اعتراف دون تضييع كرامة؛ فجاءت فكرة الوسيط هذه فكرة بارعة تيسر للأمم النزقة المتعجلة أن تتراجع فتصلح أمورها مع احتفاظها بأكثر ما يمكن من ماء الوجه».[34]

جـ - «أى حال يحول إليه العالم إذا أصبح قضاؤكم [الخطاب لساسة هيئة الأمم المتحدة] للصهيونيين مبدأً يُتبع فى كل قضية عالمية؟ إنها جريمة منكرة، ولا نقول إنها غلطة جسيمة، أو أنها خطل ذريع. وسيأتيكم جزاؤكم عليها لا محالة. فهل تدرون من أين يأتيكم هذا الجزاء؟

من أيدى الصهيونيين أنفسهم، ولن يأتيكم من غير الصهيونيين. وكل ما نرجوه فى عاقبة وزركم أنكم قادرون على أن تتداركوه، فمن بلاء الوحدة فى هذا العالم الجديد أن أوزاركم لا تصيبكم وحدكم إذا حمَّ القضاء».[35]

---

(٣٣) نقولا الحداد: (على نفسها جنت براقش)، مجلة الرسالة، العدد ٧٦٧، ١٥ من مارس ١٩٤٨، ص ٣٠٦

(٣٤) د. أحمد زكى: (وسطاء السلام)، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨، ص ٢٦

(٣٥) عباس محمود العقاد: (إلى ساسة الأمم المتحدة)، مجلة الكتاب، الجزء الثامن، السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٤٨، ص ٣٤٣

د - «اليهود الملاعين طغوا وبغوا وقتّلوا ونكّلوا، وأخرجوا الناس من بيوتهم إلى العراء، ومجلس الأمن الموكَّل بالأمن يترك أمر المشردين لأهل البر والإحسان. فما هو الأمن الموكل به مجلس الأمن؟

إن أقذار اليهود واقعة على رأس مجلس الأمن. وقد تورط كل بدنه فيها، ومع ذلك لا يزال يزعم أنه يحافظ على الأمن!.

أى أمن هذا يا هؤلاء؟! أليس لكم عيون تُبصر، وآذان تسمع، وقلوب تفقه؟ ألا تخجلون أن يركبكم الصهيونيون وينخسوكم بالمناخيس؟».[٣٦]

١١ - كشف سياسة الإنجليز الخادعة للعرب:

لاشك فى أن الإنجليز كان لهم دور خطير فى قضية فلسطين بوصفهم المنتدبين على فلسطين والمؤثِّرين فى مستقبلها. وكان لسياستهم الماكرة نحو العرب أكبر الأثر فيما انتهت إليه الحوادث لصالح اليهود، كما يظهر من نموذج المقالة التالى والذى يكشف هذه السياسة التى خدعت العرب.

أ - «إن مصيبتنا هذه جاءت أولاً وآخراً من الإنجليز، فتباً لها من دولة فاسقة مارقة. كان جيشنا المصرى على أهبة أن يحتل تل أبيب. وإذا باليهود يستغيثون؛ لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك، فأنجدهم مجلس الأمن بأن اقترح هدنة ٣٦ ساعة، وإذا بالمندوب الإنجليزى «كادوجان» يقول: لا ٣٦ ساعة لا. ماذا تنفع؟ يجب أن تكون الهدنة ٤ أسابيع، وإذا بها صارت أسابيع؛ لأن إنجلترا تُهدد بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيُحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح. واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم. وهم طلبوها لكى يقبلها العرب ويخرقوها هم. وهكذا كان.

وانتهت الأربعة أسابيع ولكن اليهود لم يبلغوا كل مأربهم فالتمسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة، ففعلوا فيها ماشاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت؛ لأنه ارتأى أن يكون النقب للعرب، وهم لا يريدون أن يبقى شىء للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه.

(٣٦) نقولا الحداد: (هل نجح خادم اليهود؟)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨، ص ١٣١٠

ففى الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا فى مأمن، والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية، ولا دولة لإسرائيل، وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول، ولكنهم بالفعل هم على غير هذا القول. والإنجليز يقولون لنا: لا بأس، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً، ولكن لا توقعوا على شروط الصلح.

انظر هذه البراعة البريطانية. اقبلوا الهدنة كما هى، وخلوا جيوشكم فى أماكنها ولا تتقدموا، يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين. كنا نقول للإنجليز إن هؤلاء اليهود اللئام ينهبون السلاح من معسكراتكم وأنتم غاضُّون الطرف لماذا؟

أليس لكى يحاربوننا به؟

ولكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربيا معه بندقية شنقوه، أما يهودى يسوق مركبة مصفحة ملأى بالسلاح فيقولون له باسمين: مبروك». (٣٧)

١٢ – رصد تطورات القضية:

جرت حوادث قضية فلسطين متلاحقة فى عام ١٩٤٨، حاملة معها تطورات متوقعة، إلى جانب مفاجآت غير متوقعة؛ فأسهم المقاليون العرب بنصيبهم فى رصد هذه التطورات والمفاجآت كلّ من الزاوية التى يراها جديرة بالتصوير والإبانة. وقد اقتصرنا على إيراد ثلاثة نماذج من هذه المقالات مع بيان مناسباتها:

أ – تقويم المقالة لبدايات الحرب مع الصهيونيين: «أثبتت أعمال الكفاح فى الأسابيع الثلاثة الماضية أن الصهيونيين عصابة شريرة خائنة حانثة، وأنها بعيدة كل البعد عن أن تكون جيشا منظما كما تحارب الجيوش المنظمة..... ولكن حرب العصابات ليست بالأمر الذى ترتاح له الجيوش النظامية، ولابد أن تتخذ له القيادة العربية إجراءً حاسماً». (٣٨)

---

(٣٧) نقولا الحداد: (أين كنا وأين صرنا؟) مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨، ص ١٣٣٨

(٣٨) د. محمد عوض محمد: (بين السلم والحرب)، مجلة الثقافة، ص ٢

ب – تعليق المقالة على مصرع برنادوت وسيط هيئة الأمم المتحدة بيد الصهيونيين:

«لو كانت الرصاصة التى صرعت برنادوت عربية لقلَّ العجب؛ لأنه كان مع اليهود على العرب. ولكن حاشا للعربى أن يغدر، حاشا للعربى أن يقتل من لا يهاجمه، حاشا للعربى أن يقتل أعزل أو شيخا أو طفلا أو امرأة. لا يمكن العربى أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهوديا......

لقد قُتل برنادوت، ودُفن جسمه واسمه، ودُفنت معه هيبة هيئة الأمم المتحدة، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً».[٣٩]

جـ – تفسير المقالة لحكم القضاء العراقى العسكرى على اليهودى شفيق عدس بالقتل شنقا، وبغرامة مقدارها خمسة ملايين دينار، وإيرادها أسباب هذا الحكم: «لأنه كفر بالعراق الذى نشَّأه وربَّاه، ثم أمَّنه ورعاه، ثم رفَّهه وأغناه، فاشترى بما نال من كرمه، وادخر من نعمه ألوف الأطنان من مختلف السلاح والعتاد، وأرسلها خفية إلى أوغاد اليهود فى فلسطين ليقتلوا بها إخوانه فى الوطن وأعوانه على الثراء.

فكان هذا القضاء وحياً من قضاء الله. وكان هذا الحكم هدياً من ضياء العدل صفقت له الوطنية، واغتبطت به العروبة، وتمنى كل قطر من الأقطار التى مُنيت باليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة أن يحكم كلُّ قاض بمثله على كل يهودى يقف بين يديه وقفة المجرم. واليهودية هى الصيهونية محتجبة أو سافرة، والصهيونية هى الفوضوية محتشمة أو داعرة».[٤٠]

١٣ – تنبيه العرب لسياسة الأمر الواقع التى أفاد منها اليهود:

عرف اليهود كيف يستفيدون من سياسة الأمر الواقع بصورة جيدة؛ فطبقوها فى تخطيطهم، وغفل العرب عن هذه السياسة. وهذا ما أشارت إليه المقالة الأدبية، ودعت إلى الأخذ به فى قوة، كما يظهر من النموذج التالى:

---

(٣٩) نقولا الحداد: (مصرع برنادوت)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١١٤.

(٤٠) أحمد حسن الزيات: (حُكْمٌ من أحكام الله)، مجلة الرسالة، ص ١١٤١

أ - «قد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع، وعادوا يفعلون ما يروق لهم، ولا يحسبون حساباً للعواقب؛ لأن الأمر الواقع ينفى كل عاقبة!. وقد كان ذنبنا العظيم أننا لم نجنح إلى الأمر الواقع، ولا عرفنا كيف نستفيد منه.....

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله. كانوا كلما ترك الإنجليز موضعا احتلوه هم..... احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنجليز، ونحن لم نستطع أن نحمى نساءنا وأطفالنا ففتك بهم أولئك الذئاب، وفرَّ من استطاع أن يظفر بالسلامة!. فحتَّام ياقوم نتبع سياسة التوانى، ونُعرض عن سياسة الفرصة السانحة، والضربة السابقة، والأمر الواقع».(٤١)

١٤ - تحية شهداء فلسطين:

حيَّت المقالة الأدبية شهداء فلسطين، وأشادت بهم وبتضحياتهم، ونوَّهت بما قدموه من فداء وبذل، واستحلفت المقالةُ القراءَ قائلة لهم: «بالله لا تمحوا أسماءهم من صفحة الأذهان، ولا تسدلوا على ذكراهم ستار النسيان؛ فقد جاهدوا من أجل فلسطين العربية منفردين قبل أن يجاهد العرب من أجلها مجتمعين. ومشت مواكبهم إلى ساحة الاستشهاد أفواجا بعد أفواج قبل أن تتدفق كتائب الجيوش العربية على الأرض المقدسة كالأمواج، وحاولوا إنقاذ فلسطين من الصهيونية فى سلسلة من الثورات ذرفوا فيها الدموع، وبذلوا الدماء».(٤٢)

١٥ - دعوة العرب إلى الثقة بالنفس:

لم يكد ينتصف عام ١٩٤٨ حتى انتهت الحوادث إلى نتائج جزعت لها النفس العربية، وقلقت مما يضمره لها المستقبل؛ فكان من واجب المقالة الأدبية أن تحارب الجزع والقلق فى النفس العربية وأن تبدد يأسها وقنوطها، وأن تدعو العربيَّ إلى الثقة بنفسه قائلة له: «لا تريض باليأس قلبك، ولا تعصر بالقنوط

---

(٤١) نقولا الحداد: مصرع برنادوت، مجلة الرسالة، ص ١١١٤

(٤٢) حبيب جاماتى: (مواكب الشهداء)، مجلة الهلال، المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨، ص ٤٥. وقد عرَّفت المقالة بعدد من الشهداء هم: موسى كاظم الحسينى، وعبد القادر الحسينى، وفؤاد حجازى، وأحمد جابر، وعز الدين القسام، وفرحان السعدى، ومحمد سعيد العاص، ويوسف أبو درة، وعلى سليم الحسينى، وعبد الرحيم الحاج، وعارف عبد الرازق، وحسن سلامة.

فؤادك، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة علّها تفيق، وفي الأرواح الهامدة علّها تتحرك، وفي الضمائر الميتة علّها تحيا، وفي المشاعر الساكتة علّها تنطق؛ فلقد اقتربت النار وقُضي الأمر، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر، وقد سرقوا متاعك بالخداع والمكر.

على أنك إذا وثبت وثبتك، وأطعت قلبك أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار.......

فثق بنفسك، وتوكل على ربك، واستعن بإخوانك العرب في مصر التي تُعلّم سهولُها الكرامة، وفي سوريا التي تُلقي بطاحُها دروس الشهامة، وفي لبنان الذي تُعوِّد جبالُه الشم على الصبر، وفي الحجاز الذي يُهدي صعيدُه الطيب إلى الطهر، وفي العراق التي تُلهم واحاتُها الشجاعة، وفي الأردن الذي تُوحي وديانُه البسالة، وفي اليمن الذي تحبب رياضُها بالإيمان، وفي الجزائر التي تُزين رمالُها الكفاح، وفي كل قطر عربي لا ينام عن حقه، ولا يفقد ثقته بنفسه»[(٤٣)].

١٦ – شرحٌ لواجبات العرب نحو قضيتهم:

لم تقف المقالة الأدبية عند المجالات التي تناولناها في الفقرات السابقة وحسب، بل شرحت ما يجب على العرب أن يفعلوه نحو قضيتهم الأولى بعد أن أظهرت الحوادث سلبيات كثيرة في سلوكهم وخططهم، فخاطب النموذجُ (أ) العربيَّ مبينا له أن سلاح الحق وحده ليس بِمُجدٍ في العالم الذي يعيشون فيه. ودعا النموذجُ (ب) العربَ إلى نبذ سياسة الأقوال، واللجوء إلى الأعمال الإيجابية المجدية. وفي النموذج (جـ) دعوة مُلِحَّة إلى إنشاء صناعة عربية للسلاح. وفي النموذجين (د) و(هـ) بيانٌ بخطوات عملية محددة ينبغي اتخاذها ضد اليهود، وفي النموذج الأخير (و) دعوة حارة لأبناء العروبة تتضمن معالم طريقهم الصحيح. تقول المقالات: –

أ – «لا تعتمدوا على الحق؛ لأن الحق لا يكون سلاحاً ماضياً إلا في عالم

---

(٤٣) صبحي إبراهيم الصالح: (لك الله أيها العربي)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٧٦.

الأخيار حيث يتجلى الحق الإلهى فيسجد له الأبرار، وأما عالمنا هذا فهو عالم الأشرار حيث يتجلى الظلم والاستئثار. فلا تعتمدوا على سلاح الحق فهو سلاح الخيال، ولا وجود إلا لحرفية «ح. ق».

وما هذه الاجتماعات التى تُعقد فى (لايك سكسس) إلا مؤتمرات شيطانية يعقدها أبالسة السياسة فيما هم يتقاسمون مغانم الحرب من دماء الأمم الصغيرة..... لا سلاح لكم إلا عزمكم وحزمكم وأنفتكم وحصافتكم ثم سواعدكم. فإن انتصرتم فزتم بكيانكم الشريف، وإن هلكتم سلمتم من مذلة العبودية لشياطين الصهيونية. وياها من مذلة أليمة، وعبودية لجنس ليس من البشر، وليس له رحمة ولا رأفة ولا إنسانية».(٤٤)

ب - «لقد برم الناس سياسة الأقوال، وباتوا يرقبون الأعمال الجدية؛ فالقضية اليوم قضية دولارات تُنثر، وطائرات ترجم، وزحافات تقذف، وقنابل تفتك، ومتفجرات تبيد وتهدم...... [ثم تتمنى المقالة] أن تنقلب أسنة الأقلام المرهفة فى أيدى أصحابها إلى دبابات وطيارات ومدافع ومتفجرات تأتى على جذور الصهيونية من أساسها».(٤٥)

جـ - «ظهر لنا أننا لم نبخل بالمال ولا بالرجال، حتى ولا قصَّرنا فى السياسة. وإنما سلاحنا قصَّر، وجميع الدول تألبت علينا فحرمتنا السلاح. ولولا هذا لكان بنو إسرائيل الآن طعاما لسمك بحر فلسطين.

نحن إذن فى حاجة ماسة إلى السلاح، ليس الآن فقط، بل فى كل حين؛ لأننا لا ننتهى مع الصهيونيين بانتهاء هذه المرحلة، بل سنبقى فى صدام معهم ماداموا بين ظهرانينا. فإن استتبت قدمهم فى فلسطين كانوا نكبة علينا لا تنتهى؛ فيجب أن نكون دائما على استعداد لمناهضتهم إلى أن نقذفهم فى بحر فلسطين. فمن أين السلاح؟

يجب أن نستغنى عن سلاح أية دولة أجنبية. لماذا لا نصنع سلاحنا بأنفسنا؟ ماذا ينقصنا؟ المال؟ نحن أغنياء. العقول؟ لقد شهد الأجانب فى مؤتمرات

---

(٤٤) نقولا الحداد: (أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم)، مجلة الرسالة، ص ٨٥٩.

(٤٥) حسنى كنعان: (القول للسيف)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

كاليفورنيا ونيويورك ولايك سكسس أن لنا عقولاً ممتازة. العمال؟ عندنا كثير منهم.

يجب أن ننشىء معامل ضخمة فى جميع البلاد العربية لصنع آخر طراز من الطائرات الخفيفة الضخمة، وأن ننشىء معامل ضخمة لصنع المدافع من كل طراز، والبنادق والذخائر على اختلاف أنواعها، وأن ننشىء دور صناعة، وحياضاً لصنع السفن، ومعامل لصنع المركبات على اختلاف أنواعها.....

ويجب أن تقدم هذه المشروعات على كثير من المشروعات الحكومية التى يمكن تأجيلها لمدة خمس سنين على الأقل؛ لأن الدفاع عن النفس يقدم على كل اعتبار.

هذا ما يجب أن تفكر فيه الأمم العربية الآن؛ لأن العصر عصر الاعتماد على النفس، وإلا تغذّى بنا الصهيونيون قبل أن نتعشى بهم».[٤٦]

د - «لا ينفعنا مع هؤلاء الأشرار إلا قول القرآن الكريم: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»....... يجب أن تقرروا منذ الآن أن تكافئوا هؤلاء الأردياء هكذا: -

أولا: مصادرة جميع أملاك اليهود فى البلاد العربية كلها، باعتبار أنهم كلهم صهيونيون، وأن العدوان فى فلسطين هو عدوانهم وهم شركاء فيه.....

ثانيا: يجب أن يذاع هذا الحكم على الصهيونيين لكى يعلموا أن كل ما يأتونه من المنكر فى البلاد العربية على الإطلاق يتحمل وزره إخوانهم فى كل بلد عربى......

ثالثا: أن يُبلغ صهيونيو فلسطين أن كل ما نهبوه من أموال العرب، وكل ضرر أوقعوه على العرب سيؤخذ التعويض عنه أضعافا يوم الحساب، بعد إخماد عنفوانهم يوم الهزيمة.....

رابعا: أن يعلم هؤلاء اليهود الصّلاب الرقاب أنهم لا يُعاش معهم بعد قمع ثورتهم، بل يجب أن يُطردوا من البلاد العربية كلها».[٤٧]

(٤٦) نقولا الحداد: (أيها العرب ما حك جلدك مثل ظفرك)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٨٧.

(٤٧) نقولا الحداد: (الغيظ المحزن)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٥٢.

هـ - «١ - إعلان التجنيد العام فى البلاد العربية، وتدريب شباب العرب على الأعمال الحربية، وإيقاظ روح الوطنية فيهم؛ الوطنية الواعية العاملة لا وطنية التصاريح والمظاهرات، وتجهيز هذه الجيوش من الشباب الغيور بالمعدات الحربية اللازمة.

٢ - تجنيد الفلسطينيين الذين هم فى سن الجندية، وتأليف جيش منهم لا يقل عن ثلاثين ألف مقاتل، وتدريبهم التدريب اللازم الكافى للنضال وإنقاذ الوطن....

٣ - ولتموين هذه الجيوش بالمؤن ومختلف أنواع السلاح والذخيرة ينبغى فرض ضرائب جديدة للدفاع فى مختلف الأقطار العربية......

٤ - على الدول العربية أن توقظ شعوبها، وتفهمها جيدا ما يحيق بها من أخطار تتهددها بإخلائها عن أوطانها، وزعزعة كيانها، والقضاء عليها».[٤٨]

و - «ياقوم لقد قلنا لكم: إن القوة هى الحق، وما سواها باطل، وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا، وضيعة الدينار.

فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب، محفوظ الحق فلْيَدَعْ سماحة موسى، وبلاغة هارون، ولْيتخِذْ قوة شمشون، وغنى قارون».[٤٩]

---

(٤٨) د. يوسف هيكل: التعبئة العامة، مجلة الثقافة، ص ٢، ٣

(٤٩) أحمد حسن الزيات: (مثل المهذبين من بنى آدم)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨، ص ١٣٣٨.

نماذج كاملة للمقالة الأدبية فى قضية فلسطين عام ١٩٤٨

بعد أن عرضنا لمقتطفات من المقالات فى جوانب عديدة من قضية فلسطين، نورد فيما يلى نماذج كاملة من المقالة الأدبية فى القضية، مع التعليق على كل مقالة منها.

١ – مقالة بعنوان: (من علامات الساعة!)*

«من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى فيحمل سلاحا، ويشهد حربا، ويحرز نصرا، ويحتل مدينة!!.

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك إلى الثكنة، ومن الدكان إلى الميدان، ليحارب العرب على فلسطين، ويثأر للفرنج من صلاح الدين!!.

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب فى حيفا، وعلم يرفرف على المسجد فى يافا، ودولة تريد أن تقوم فى القدس!!.

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الأمريكان، وخديعة الإنجليز، وشيوعة الروس؛ فإن الثعلب بحسبه أن يشم ريح الأسد من بعيد لِيُجْحر، وإن الفأر بحسبه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط!.

يالله ماذا نرى؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين فى البر والبحر يلتمسون فى الشام المأوى، ويطلبون فى مصر الأمن، وأهلوهم مُصرَّعُون على ثرى الوطن الحبيب السليب، بعد أن قذفوا فى صدر العدو آخر رصاصة، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسره، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق!

يالله ماذا نسمع؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا، وأن راية صهيون تخفق على

* المقالة لأحمد حسن الزيات فى مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

مسجد (حسن بك)، وأن بنى إسرائيل يُذبحون الأبناء ويستحيون النساء فى دير ياسين!.

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد!!.

ماذا جرى حتى استجملت الناقة يايهود، وماذا جرى حتى استنوق الجمل ياعرب؟!. جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول، ويَجِدُّون ونحن نهزل، ويبذلون ونحن نبخل، ويتعاونون ونحن نتخاذل، ويتَّكِلون ونحن نتواكل!.

فى كل شهر مؤتمر، وفى كل أسبوع مجتمع، وفى كل يوم قرار، وفى كل ساعة تصريح، وفى كل دقيقة خطبة. وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين المجهودين أصواتا لا تدفع سيارة، ولا ترفع طائرة، ولا تحشو مدفعا، ولا تملأ بطنا، ولا تبعث قوة.

فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض، فإذا الأول واقف لأن ترومان لم يتقدم، وإذا الثانى ساكت لأن بيفن لم يتكلم، وإذا الثالث متأرجح لأن الآخرين لم يستقروا على رأى!.

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة، وآراء متضاربة، وقوى متفرقة، فكنا نجد عذرنا فى هذا الانقسام، ونعزوا فشلنا إلى هذه الفُرقة، ونهدد خصومنا بأن فى جمعتنا الخلاص منه، وفى وحدتنا القضاء عليه. فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل، ولدولنا أن تتحد ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ما وراء العربى إذا تجمع شمله، وما غناء الإسلام إذا تجدد حبله.

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار، وامتحان الشدائد؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة، وإذا ثبت معدنها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة.

إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة؛ فإذا كسبناها كسبنا جُلَّ ما نبغى، وإذا خسرناها خسرنا كل ما نملك. ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة فى فلسطين إلا على عمَد من الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية، وأيّاً ماتكن هذه العمَد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعية، وإنها الاستعمار والاستئثار والبلوى إذا كانت رأسمالية».

* * *

لا تكشف المقالة فى بدايتها عن مقدمة، وإنما نرى عنوان المقالة «من علامات الساعة» يتصدر الفقرات الأولى من المقالة ليؤكد دهشة الكاتب وتعجبه، فكأن القيامة جاءت أشراطها، وليجذب قارئه ليشاركه دهشته وتعجبه، ويمضى معه فى أفكاره وتصوراته حتى ينتهى به إلى خاتمة المقالة التى يقول فيها «إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة..... الخ»

والمقالة موضوعية ولكن الكاتب وُفق فى أن يسكب انفعاله الذاتى فيها، وأن يغنيها بإحساسه المرهف ومشاعره الفياضة.

أفكار المقالة:

١ - تناولت المقالة تغيُّر حال اليهود فى هذه الحرب، وأبرزت عدة مظاهر لهذا التغير، وأشارت إلى فظائعهم التى ارتكبوها.

٢ - صورت المقالة حال النساء والأطفال من أهل فلسطين بعد مصرع أهليهم الذين أدوا واجبهم بقدر ما تسمح به إمكاناتهم.

٣ - ربطت المقالة بين العروبة والإسلام فى القضية بوصفهما المقومان الأساسيان لها.

٤ - لم تقف المقالة عند مجال الانفعال والدهشة وحسب، بل تساءلت عن سبب ما جرى. وأجابت عن تساؤلها بأن السبب يرجع إلى أن اليهود يعملون ويجدُّون ويبذلون ويتعاونون ويتكلون، أما العرب فهم يسلكون سبل القول والهزل والبخل والتخاذل والتواكل.

وقد أصابت المقالة إلى حد كبير فى تصويرها الصادق لحال العرب، وفى التنبيه إلى العيوب التى ينبغى أن يتخلصوا منها.

٥ - عَرَّضت المقالة بساسة العرب فى ذلك الوقت لعدم تحملهم مسئولياتهم فى هذه المرحلة الحرجة من حياة أمتهم.

٦ - وضعت المقالةُ - فى خاتمتها - العربَ أمام اختيار جِدِّى لا مفر منه.

أسلوب المقالة:

١ - يحفل أسلوب المقالة بتنسيق التعبير الممزوج بإحساس الكاتب فى ربط جميل بين عقله وذوقه، وبين فكرته وكلمته.

٢ – يتميز أسلوبها باختيار الألفاظ، والحرص على أن تأخذ مكانها فى أنسب موضع يلائم بناء المقالة، ويلبس المعانى أجود ثيابها مثل لفظ (مُصرَّعين)، ولفظ (المجهودين).

٣ – يُذكِّرنا الزيات فى عباراته المتوازنة، وإيقاعاته فى الأسلوب بتوازن عبارات الجاحظ وإيقاعاته، وكأننا نطالع أسلوب الجاحظ مرتديا ثياب عصرنا. انظر قول الزيات: «اليهود يعملون ونحن نقول، ويجِدُّون ونحن نهزل، ويبذلون ونحن نبخل، ويتعاونون ونحن نتخاذل، ويتكلون ونحن نتواكل».

٤ – تتسم الجمل بالرصانة مع السلاسة، حيث يأخذ بعضها بيد بعض فى اتساق يسهل على القارىء الانتقال من جملة إلى جملة، وهو يشعر بمتعة فى ذلك الانتقال، وتلقى المعنى بقبول ويُسر.

٥ – التأثر بالقرآن الكريم فى عبارة «يُذَبِّحون الأبناء ويستحيون النساء فى دير ياسين».

٢ – مقالة بعنوان: (قضية مكسوبة)*

«يحمل صديقنا «الأستاذ الحداد» مطارقه كلها فى هذه الأيام، ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين! فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية، وتارة أخرى يتناول المجامع العليا وما تأتمر به من مؤامراتها الجهنمية، ويعرض أحيانا للماسونية التى تتخذ هيكل سليمان شعاراً لها، ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل، ويعرض أحيانا أخرى لدسائس القوم فى العصر الحديث، وهى نمط منقح من دسائسهم فى كل تاريخ قديم.

وحسنا صنع الحداد؛ فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله، وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء (شعبه المختار) فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحد، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقاب.

وآخر ما قرأته فى هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوارة العبرية فى عهد موسى عليه السلام؛ فهو ينفى كتابة الأسفار الخمسة التى تُنسب إلى موسى عليه السلام فى عهده. ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين.

---

* المقالة لعباس محمود العقاد فى مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨، ص ٨٠١–٨٠٣.

ومن المحقق أن هذه الأسفار الخمسة كُتبت بعد عصر موسى عليه السلام بزمن طويل، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التى لا تدع لذرة من الشك موضعا فى ثبوت هذه الحقيقة. ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة؛ فإن نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل؛ إذ تروى هذه الأسفار فيما تروى نبأ مُلك قديم قام فى بنى إسرائيل. ومعنى ذلك أن هذه الرواية كُتبت بعد قيام المُلْك فيهم على عهد شاؤل وداوود وسليمان، أى بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون.

ومن أعجب العجب أن تُنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء؛ ففى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: (فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه فى الجوا فى أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم). وفى ذلك الإصحاح أنه لم يقم بعد موسى فى إسرائيل نبى مثله، ومعنى ذلك أن هذا الإصحاح كُتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام، فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كُتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون.

ولكننى أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا الحداد أن يرجىء حملته على هذه (المستندات) العبرية؛ لأنها قد تنفعنا فى قضية مكسوبة إن شاء الله. وهذا هو خط سير القضية التى نعتمد فيها على تلك المستندات، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب، أو يعترفوا بها فنكسب، ونحن الكاسبون على الحالتين.

فُتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليونا من الجنيهات الذهبية.

قال القاضى لمندوب مصر: علام تستند فى دعواك؟

قال المندوب: على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون!

قال القاضى: أين هى؟

قال المندوب: هى هذه، ودفع إليه بنسخة من التوارة العبرية. ويظهر أن الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوارة فى هذه الأيام؛ لأنهم لو كانوا يقرأونها

لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب.

قال القاضى: وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك؟

قال مندوب مصر: فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج: (يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين).

قال القاضى: هذه نية. هذا شروع. فهل تمت الجريمة؟

قال مندوب مصر: نعم تمت؛ فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضا (أن بنى إسرائيل ارتحلوا..... نحو ستمائة[٥٠] ماشٍ من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر مواشى وافرة جدا).

وجاء فى الإصحاح قبل ذلك (أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين).

فسأل القاضى مندوب مصر: ولكن علام بنيتم تقديركم للمبلغ المطلوب؟

قال المندوب: ثابت ياحضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الرجال فقط من بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل، عدا النساء والأولاد، فلا يقل عددهم جميعا إذن عن ثلاثة ملايين. وثابت من هذه الوثيقة أنهم كان معهم لفيف كثير. وثابت منها أن المواشى التى أخذوها كانت كثيرة جدا. وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة، وثيابا موشاة مما يُلبس فى الأعراس. فإذا قدرنا هذا – مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرنا – فليس هناك أقل مبالغة فى تقديره بعشرين مليونا من الجنيهات الذهبية.

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم، ثم سأل رئيسُهم مندوبَ عصابة إسرائيل: ما قولك فى الدَّيْن المطلوب؟

---

(٥٠) [رقم «ستمائة ماش» خطأ مطبعى فى المقالة، وصححته من كتابهم المقدس (ستمائة ألف ماش)، وكما أشار إليه العقاد نفسه بعد ذلك.]

قال المندوب الصهيونى: إنى أنكره ولا أعترف به.
قال رئيس القضاة: ولم؟ هل تطعن فى الوثيقة؟
قال: كلا، لا أطعن فى الوثيقة.
قال القاضى: إذن هل تطعن فى التقدير؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه، وتداولوا الرأى فيما بينهم مليا، فتبين أن الطعن فى التقدير ينتهى إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال. ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول: إننا ياحضرات القضاة لا نطعن فى الوثيقة، ولا نطعن فى التقدير، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضى المدة.

فنظر القاضى إلى مندوب مصر سائلا: ما جوابك على هذا الدفع؟

قال المندوب: جوابى أن المدة التى مضت على هذا الدَّيْن المعترف به هى المدة التى مضت على حق القوم المزعوم فى ملك فلسطين. فإن سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك.

ولم يسع القاضى إلا أن يسأل الطرفين: أتوافقون إذن على إسقاط الدعوى جملة فى هذه الوثيقة؟

قال مندوب إسرائيل على عادة القوم فى كل مطلب وفى كل دعوى: بل تعتبر القضية قائمة فى دعوى صهيون، وتسقط القضية فى دعوى المصريين!.

ياصديقى الحداد!

أنت ترى (خط سير القضية) وأنت رجل كيمى ورجل أديب، ولكنك لا تجهل أن الدعوى مكسوبة على الحالتين وإن ساورتك الظنون كما تساورنا فى محاكم الدول وهيئات التحكيم، فهلّا رفعت من مطارقك التى تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين!

هلّا رفعت عنهم مطرقتك التى تهوى بها على (مستندهم) القديم!
ارفعها قليلا، وتكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد».

* * *

نرى فى بداية المقالة مقدمة تشير إلى مقالات الحداد عن قضية فلسطين. وهذه المقدمة نفسها توحى بأنها مقالة ذاتية، ولكننا لا نلبث معها قليلا حتى

نرى العقاد قد حوَّلها إلى مقالة موضوعية تتناول قضية تاريخية قديمة مؤيدة بالمستندات، وممزوجة بقضية فلسطين الراهنة إلى أن ينتهى فى خاتمتها التى يخاطب فيها صديقه (الحداد) إلى مسحة ذاتية.

والأستاذ الحداد الذى أشار إليه العقاد فى مقاله هو (نقولا الحداد) صيدلى وأديب دأب على نشر العديد من المقالات عن قضية فلسطين فى المجلات الأدبية. وسيأتى فى نهاية البحث تعريفٌ به.

أفكار المقالة:

١ - المحور الرئيسى الذى دارت عليه المقالة هو (بطلان دعوى اليهود فى فلسطين).

٢ - فنَّد العقاد بأدلة قاطعة مقولة اليهود بأن الأسفار الخمسة كُتبت فى عهد موسى عليه السلام.

٣ - صنع العقاد مشهداً تمثيلياً فى المقالة لمحكمة العدل الدولية عرض فيه لوجهات النظر فى القضية، مع الاستدلال بنصوص كتاب اليهود المقدس. وقد وُفق العقاد فى توظيف الحوادث التاريخية القديمة، ومن واقع كتاب اليهود المقدس فى عرض قضيته الحديثة بطريقةٍ ذكية وتناولٍ ساخر بعقلية بنى إسرائيل، وطرق تفكيرهم، وتهافت دعواهم فى فلسطين.

أسلوب المقالة:

١ - تشيع فى أسلوب المقالة ظاهرتان واضحتان، الأولى: الدعابة مع صديقه الحداد، والثانية التهكم مع إلزام الخصم الحجة فى المناظرة أو المحاكمة التى أوردها؛ لأنه يرى أن المقام يتطلب ذلك.

٢ - اتخاذ سبل البحث والتمحيص والمقابلات العقلية ملحوظة فى أسلوبه.

٣ - الإحكام والتماسك فى أدائه اللغوى.

٤ - الاقتصاد فى الأسلوب بالتعبير عن المعنى الواحد بعبارة واحدة فى قوة ووضوح.

٥ - التحرى الدقيق فى السلامة اللغوية والنحوية.

٣ - مقالة بعنوان: (ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟)*

«وقف القتال فى فلسطين نزولا على حكم مجلس الأمن. وبهذا تمت مرحلة من مراحل الجهاد يصح أن نقف عندها، لنتأمل فى أحداثها، ونرى موضع العبرة فيها.

توحدت كلمة العرب بعد طول الانقسام، وكان يجب أن تتوحد من وقت أن ظهر خطر الصهيونيين، أو من وقت عهد بلفور على الأقل. كما توحدت مساعى الصهيونيين من أمد بعيد، وبدأنا أخيرا نضع برامج القتال بعد أن وضع الصهيونيون برامجهم من زمن طويل، وأخرجوها إلى حيز الفعل؛ ففى كل مستعمرة قلاع، وفى كل تلال حصون إلى مصانع للذخيرة، واستجلاب ما أمكن من العدد. وأضعنا زمنا كنا نقاتلهم فيه بالروح المعنوية النبيلة القوية من غير أن نعتمد على قوة مادية كافية، ومن غير أن نعتمد على تنظيم جهود لابد منها للقتال، وذهبت ضحايا كثيرة بريئة شريفة ما كانت لتضيع لو رُتبت الأمور، ونُظمت الجهود، ووُضعت الخطط من أول الأمر.

ولكن ذلك كله على كل حال كان درساً قاسياً تعلمنا منه وحدة الكلمة، وتنظيم الخطط، وأنه يجب علينا ألا نغمض العين بعد ذلك عن الداء متى بدأت أعراضه، ولا ندعه يستفحل ثم نأخذ فى علاجه.

وعلى الجملة فقد استفدنا أن العلم يجب أن يحارب بالعلم لا بالبركة ولا حيثما اتفق؛ فالحرب تخضع للعلم كما يخضع له الآن كل شيء، لابد لها من كلمة موحدة، وخطة محكمة منظمة، وآلات قتال كافية، يدعمها كلها روح معنوية قوية، وليست تنقصنا - والحمد لله - هذه الروح القوية. فإذا تمت لها بقية وسائلها فالظفر - بمشيئة الله - محتوم.

وقد أثبتت هذه الحرب أن الجندى العربى لم يفقد رجولته ولا شهامته على الرغم من عسف الاستعمار واستبداده، ومحاولته إماتة الروح العسكرية فيه. وظل الجندى العربى محتفظا بكفايته، قويا فى حربه، أمينا فى وطنيته، مسترخصا نفسه فى الذود عن أمته. ولولا ألاعيب السياسة تحد من نشاطه لاكتسح الصهيونية اكتساحاً.

---

* المقالة للدكتور أحمد أمين فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨، ص ١، ٢

وهذه الروح العسكرية هى رأس مال الأمة، فإذا كملت بالذخائر والمعدات والفنون فبشِّر الأمة بالعز، وعلوِّ الكلمة، وخير النتائج. وهذا هو ما يجب أن تطمح الدول العربية لتحقيقه. ولا شك أن براعة الجندى العربى التى ظهرت فى هذه الحرب سيحسب لها الغرب حساباً كبيراً، ويبنى على ذلك سياسته المستقبلة فى الشرق.

ثم استفدنا درساً أزال البقية الباقية من غفلتنا إزاء أوربا وأمريكا؛ فقد كان فينا من لا يزال يؤمن بمبادىء (ولسن) وميثاق الأطلنطى وهيئة الأمم، فانكشف ستارها، وظهر عوارها، وتبين لكل ذى عينين أن لا عدل عندها ولا إنسانية ولا مبادىء ولا حق. وإنما كل الأمر أمر مصالح، ومصالح وقتية يحددها النظر القصير. فمن كان يطمع من أوربا وأمريكا أن تقدر الأمور كما يقدرها القاضى العادل، وأن يكون مجلس الأمن محكمة عليا عادلة تنصف المظلوم من الظالم، وترد للضعيف حقه من القوى، فقد تعلق بأوهام، وأمَّل فى سراب. فليست انجلترا ولا أمريكا ولا روسيا ولا فرنسا ولا غيرها تنظر إلى المسائل التى تُعرَض نظرة قانونى عادل، وإنما تنظر إليه نظرة سياسى طامع.

كل أمة تنظر إلى مصلحتها العاجلة أين هى فيصوِّت ممثلها لها ولو خرق عين العدالة. وبعض العرب إلى الآن كانوا يتأثرون بماضيهم فى رعاية العدل، وحرمة الحق، ويتأثرون بتعاليم دينهم فى الالتزام بالوعد، والوفاء بالعهد، ويظنون أن الناس كلهم على هذا النمط، ويفوتهم أن السياسة الحاضرة لا عهد لها ولا وفاء ولا صدق، وأن لا بأس عليها أن تقول اليوم ما تنقض غدا، وتعد اليوم ما تخلف غدا، جريا وراء المصلحة العارضة.

وإذا كان هذا شأنهم فى معاملة بعضهم بعضا فهم فى معاملة الشرقيين والعرب والمسلمين أشد وأنكى. وأن تاريخ السياسة الفرنسية والإنجليزية فى العالم العربى سلسلة عسف واضطهاد وأكاذيب ونفاق.

وهذه أمريكا ظهرت بعد الحرب فكانت شر الثلاثة. تاريخ فرنسا فى بلاد المغرب يخجل من ذكره الشيطان. وتاريخ إنجلترا فى مصر والسودان وفلسطين وعد وخلف، وقبض وبسط، وظاهر ناعم وباطن غدَّار، وتحبب وتنكر،

وضربة للعرب وضربة لفلسطين، وتشجيع للعرب على القتال حينا، وتهديد لهم إذا استمروا فى القتال حينا آخر. وهكذا تتلون الحرباء.

وأمريكا تطلع علينا بوجهها البغيض، وكأنَّ بينها وبين العرب ضغناً قديماً، تناصر خصومهم الصهيونيين، وتمكِّن لهم فى أرض العرب، وتُمدهم بالسلاح، وتضغط على الدول بكل الوسائل شريفها وخسيسها ليقفوا بجانبها حتى ليعجب الناظر من هذا التحمس البالغ، وسبب هذا الحقد الشنيع. ثم هذه الدولة الفتية صاحبة هذه السياسة الخرقاء هى التى تتزعم مجلس الأمن وتحركه وتوجهه نحو الحق والعدل، وحماية الضعيف ونصرة الأمم الصغيرة، والمحافظة على الحريات الأربع! أليس كذلك؟

لقد لُدغ العربُ من جحر أوربا وأمريكا مرارا ولم يتعظوا، وكانوا كلما لُدغوا مرة قدموا أبدانهم لتلدغ مرة أخرى. فلما كانت حرب فلسطين هذه وشاهدوا على المسرح ضروبا غريبة من الألعاب تلعبها إنجلترا فى تحريض العرب على القتال، والتهديد إذا حدث القتال، ونصرة العرب يوما وخذلهم يوما. وألعاب تلعبها أمريكا من ضغط على العرب وضغط على الأمم ليكونوا بجانبها ضد العرب، وتهديد للأمم بالحرمان من المساعدات المالية إذا لم يُصغوا إليها ويشجعوا الصهيونية. ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون، ويحركونه كما يريدون، إلى كثير من أمثال هذه الألعاب البهلوانية.

لما شهد العرب هذه الألعاب التى لم يشهدوا مثلها من قبل فى أية رواية من الروايات، آلوا على أنفسهم ألا يُخدعوا من أوربا وأمريكا مرة أخرى، وأن يفتحوا أعينهم حتى لا يُلدغوا من الثعبان مرة أخرى، وآمنوا للمرة الأخيرة أن هذه الدول لا يسيرها شرف ولا قانون ولا عدل، وإنما هى المصلحة، وأن هذه الدول لا تحترم إلا القوة، فليقووا أنفسهم، فإذا قووها كانت مصلحة هذه الدول فى مصادقتها، وكان لهم هم الحق فى اختيار من يصادقون.

هذا ما ربحنا من الحرب. وهو ربح – لو تعلمون – عظيم».

: : :

نجد فى بداية المقالة مقدمة موجزة وهى: «وقف القتال فى فلسطين نزولا على حكم مجلس الأمن. وبهذا تمت مرحلة من مراحل الجهاد يصح أن نقف عندها لنتأمل فى أحداثها، ونرى موضع العبرة فيها». وبعدها تناول الكاتب

موضوعه بالشرح، وسرد المعلومات، واتخاذ العبرة منها إلى أن انتهى إلى خاتمة قصيرة يقول فيها: «هذا ما ربحنا من الحرب. وهو ربح – لو تعلمون – عظيم».

والمقالة موضوعية فى مجملها، ولكننا نلمح فى ثناياها تعبيرات للكاتب بصيغة الجمع متحدثا فيها عن العرب مثل قوله: «ثم استفدنا درسا» وقوله: «فقد كان فينا».

أفكار المقالة:

١ – الهدف الأساسى من المقالة هو استخلاص عدة دروس للعرب من حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨؛ فأبان عن هذه الدروس فى الجوانب التالية: –

أ – أهمية الوحدة العربية فى قضية فلسطين لمجابهة وحدة الصهيونيين المبكرة.

ب – ضرورة الأخذ بجانب القوة المادية إلى جانب الروح المعنوية التى اعتمد عليها العرب، مع تطبيق مبدأ التنظيم والتخطيط.

جـ – الدعوة ليقظة العرب، والمسارعة فى حل مشكلاتهم.

د – المحاربة بسلاح العلم، ونبذ سياسة الارتجال.

هـ – إظهار شجاعة الجندى العربى، وبيان أهمية إكمال هذه الروح العالية بالمعدات العسكرية والفنون الحربية. أما النتيجة السيئة لحرب فلسطين فإن سببها يرجع إلى الظروف السياسية التى حدَّت من نشاط الجندى العربى.

و – إظهار حقيقة السياسة العالمية بصراحة أمام العرب كى يتبينوا فى أى عالم يعيشون.

ز – تذكير العرب بمؤامرات دول الغرب إزاءهم، وتنبيههم إلى أساليبهم الملتوية فى معالجتهم لقضايا العرب.

ح – الدعوة إلى الأخذ بوسائل القوة؛ فهى الأساس فى المعاملات الدولية.

أسلوب المقالة:

١ – يظهر فى أسلوب المقالة الهدوء، والوضوح، والاتزان الفكرى، والثقة المبنية على الفهم.

٢ – نلحظ فى طريقة تناول الكاتب للمقالة ثقافته المستوعبة لعدة جوانب سياسية واقتصادية وفكرية.

٣ – أبان الكاتب عن أفكاره بالشرح وبضرب الأمثلة من التاريخ الحديث فى إشارات دالة ومقنعة.

٤ – ألفاظ المقالة بريئة من الغرابة، وتعبيراتها بعيدة عن التكلف، وتراكيبها سهلة سلسلة.

٥ – نرى سخرية الكاتب من العرب فى اعتمادهم التام على الغرب فى قوله: «وكانوا كلما لُدغوا مرة قدموا أبدانهم لتُلدغ مرة أخرى».

٦ – نجد فى المقالة ألفاظا وجملاً مترادفة أملتها الطبيعة الأدبية على الكاتب عندما يعمد إلى موضوع ذى طابع سياسى كموضوعنا هذا مثل قوله: «عسف واضطهاد». «فانكشف ستارها، وظهر عوارها». «فقد تعلق بأوهام، وأمَّل فى سراب». «ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون، ويحركونه كما يريدون».

٤ – مقالة بعنوان: (أهى حرب صليبية؟)*

«الآن قد برح الخفاء، وظهر لكل ذى عينين كيف تسير سياسة العالم فى هذه السنين. ولقد كنا من قبل نظن ونحسب ونخشى، ولكن الحوادث قد دلتنا بعد مواقف شتى عنيفة أن هذا العالم الذى نعيش فيه اليوم عالم تسوده سياسة الأنانية والمادية التى تكاد تكون وحشية.

لقد لمحنا فيما مضى من سياسة هذا العالم أن دول الغرب تقف منا موقفا يذكرنا دائما بالحروب الصليبية، وإن كان يحاول دائما أن يخفى ذلك الموقف تحت ستُر مختلفة من الرياء والتعالى والألفاظ البراقة الجوفاء.

وكنا كلما بدا لنا من الغرب ذلك العداء العميق نظرنا إلى ما حولنا فى حيرة تكاد تشبه البلاهة، وترددنا فى أن نصدر حكمنا الصحيح، ونرسم سياستنا بما يناسب الحقيقة التى تبدَّى لنا طرف منها، ثم نرد أنفسنا من حافة اليقين إلى التشكك، والتماس أسباب أخرى لما نراه تحت أعيننا، حتى ساء ظننا فى بعض الأحيان بأنفسنا، وقلنا لعل العيب فينا نحن، لا فى تلك الدول الكبرى المتمدنة.

* المقالة لمحمد فريد أبو حديد فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٣، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨، ص ١، ٢

وقد طالما علَّلنا أنفسنا بتعلات واهية لكيلا نفقد الأمل فى عدالتها وكرامتها؛ فكنا كلما أزمت أزمة هددت تلك الدول الغربية وقفنا منها موقف النزاهة والأمانة والصدق، لعلها تجعلنا من الأمم الصديقة، فتخلص لنا كما أخلصنا لها، وتصدق فى معاملتنا كما صدقنا فى معاملتها، وتتعاون معنا كما تعاونًا معها، ولكنَّا كُنًا نعود فى كل مرة فنلوم أنفسنا على ما قدمنا من إحسان وصدق، وتمنينا لو كنا من قبل أكثر جرأة، وأبعد نظراً، ولكن هيهات أن يفيد ندم بعد فوات الفرص.

ولسنا نقول هذا قولاً جزافاً، فما نحن فى هزل ولا فى فراغ للقول الجازف؛ فالبراهين بين أيدينا لا تحتاج إلى تكلف فى أن تدعم حجتنا؛ فالحوادث منذ أول هذا القرن، أو منذ أواخر القرن الماضى تدل على أن دول الغرب تشن علينا حربا دائمة فى أيام حربها وفى أيام سلمها. فلنبدأ بتذكر أيام الحرب العالمية الأولى؛ فهى أولى النكبات الكبرى التى حلت بنا.

كنا فى سنة ١٩١٤ أمة مستقلة يقيم فينا الاحتلال مقاما غير شرعى، مازلنا نجاهد فى سبيل إزالته، والتخلص من قيوده. وكانت البلاد العربية الأخرى تابعة للدولة العثمانية التى كانت إذ ذاك تعانى آثار حكم السلاطين الاستبدادى. فلما قامت الحرب الكبرى بدأت دول الغرب فى دعاية طويلة عريضة تُحرِّض على هدم الدولة العثمانية بكل ما أوتيت من دهاء وقوة.

وكانت أخطر حججها هى الحجة التى تقوم على بعض الحقيقة. حقا لقد كان الحكم العثمانى القديم فاسداً، ولكن التخلص من الحكم الفاسد قد يؤدى إلى ما هو أشد منه فساداً. وهذا ما كان بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها.

فلما زال الخطر الذى كان يهدد دول الغرب عُدنا ننتظر ما يأتى به الغد، فإذا الشعب العربى الذى ساعد أكبر المساعدة على هدم الدولة العثمانية يرى نفسه معرضا لما هو أشد من الاستبداد العثمانى؛ فقد أدخلت دول الغرب إلى العالم العربى العناصر اليهودية الخطيرة، وقسمت بلاد الشام فيما بينها، وحاولت بريطانيا أن تسيطر على حياة العراق، وتزيد سلطانها فى مصر، فوجدنا أنفسنا مضطرين إلى معركة سياسية عنيفة لكى نتدارك خطأنا. ألم يكن ذلك خطأً

كبيراً أن وثقنا بدول الغرب، وعادينا الحكم العثمانى على ما فيه من مظالم؟.
إن النكبة التى أصابت الأمم العربية منذ ذلك العهد ما تزال تكدح فى حياتنا، وتقعد بنا عن الاهتداء فى سبيلنا. فإنا إذا قسنا حال بلاد فلسطين اليوم بحالها فى أيام الدولة العثمانية بدا لنا أن حكم دول الغرب لم يعقب لها إلا فقراً ودماً وآلاماً. وأما سائر الأقطار العربية فحسبها داء الصهيونية همًّا فى ليلها ونهارها، وفى إصباحها وإمسائها.

لقد كان وثوق العرب بمواعيد دول الغرب، ومساعدتها على سقوط الحكم العثمانى نكبة عظمى، وكنا جديرين بأن نتأمل تلك النكبة فلا نثق مرة أخرى بمواعيد تلك الدول، ولا نتعاون أبداً معها. ولكننا لم نتعظ بتلك النكبة الأولى، فلما جاءت هذه الحرب العالمية الثانية، وأحست الدول الغربية بالخطر يهدد حياتها مرة أخرى، عُدْنا إلى ترددنا القديم نتساءل: أهذه الدول إنسانية حقا كما تدعى؟

ووقعنا فى الخطأ نفسه فألقينا بأنفسنا فى تيارها، وقدمنا لها كل ما عندنا من قوة ومال، وفسحنا لجنودها فى ديارنا، وحبوناها بكل مافى قلوبنا من إخلاص. نعم فعلنا ذلك، ويكذب من يقول غير هذا.

وإننا لنذكر مع الأسف الشديد موقفنا فى مصر وسائر بلاد العرب عندما وقف الألمان منتصرين عند حدودنا الغربية. لقد وقفنا عند ذلك فى غرارة البلهاء ونصيح بأعلى أصواتنا قائلين: إننا حلفاء دول الغرب، وإنها دول إنسانية ديمقراطية، وما ينبغى لنا أن نخونها، ولا أن نتردد فى تحمل نصيبنا من كوارث الحرب معها. ثم تحول النصر إليها. وكان موقفنا فى ساعات الحرج من أقوى ما ساعد على تحقيق ذلك النصر لها. ثم ماذا؟

هذه هى دول الغرب تقف منا اليوم موقفها هذا. إنها تقف منا موقفاً لا نستطيع أن نصفه إلا بأنه موقف يذكرنا بأيامها الجاهلية أيام حروبها الصليبية القديمة. هذه هى أمريكا، وهذه هى إنجلترا تقفان منا موقف المُخَذِّل الذى يساعد عدونا، ولا يجرؤ على كلمة صدق، ولا حركة عدالة فى نصر قضيتنا العادلة، وهى ترى عصابة الصهيونيين تفتك بنا، وتشرد أطفالنا وشيوخنا ونساءنا، وتفعل الأفاعيل التى تقشعر منها الإنسانية حنقا، ومع ذلك فهى تعين

الظالمين علينا، ولا تخجل من إنسانيتها، ومع ذلك فنحن نكاد نلتمس الأعذار لها بحجة أن الصهيونية مسيطرة عليها، وأن أحزاب أمريكا تخشى نفوذ اليهود فى بلادها، وتتملقهم لإحراز النصر فى الانتخابات المقبلة. ألا ماأشد سذاجتنا! إنها عاطفة الحروب الصليبية الأولى التى لا تزال تحرك سياسة دول الغرب علينا، فلا ترضى لنا أن نعود أمة كريمة قوية كما كنا.

وما أجدرنا بأن نفتح الآن أعيننا على الحقيقة المرة، فلا نحاول أن نخادعها، ولا أن نمضى فى مكابرة أنفسنا. إنها حرب صليبية تشنها دول الغرب علينا. والواجب يقتضى منا أحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أن نقوم بدعاية قوية فى تلك البلاد لكى ندلها على أن عهد الحروب الصليبية قد مضى وانقضى. وإما أن نحالف الشيطان نفسه إذا كان الشيطان ينصرنا على هذه السياسة القاسية الظالمة.

هذه مئات الآلاف من بنى الإنسان فى فلسطين وحول فلسطين وهم بقايا أمة مشردة من شيوخ ونساء وأطفال يتعرضون للجوع والعراء والمرض. وهذا الشتاء يوشك أن يحل بهم بعد الخريف ومازالت أصواتنا بعيدة عن الوصول إلى أسماع أحد. فهل فلسطين وأهلها من نساء وشيوخ وأطفال أحياء من البشر من بنى الإنسان الذين تنعطف عليهم قلوب سائر الإنسان. أم هم من الوحوش التى يُراد إفناؤها. أم أن قلوب دول الغرب قد أُغلقت حتى لا تؤثر فيها الآلام التى يعانيها هؤلاء؟

ألا ليت أصواتنا تستطيع أن تصل إلى أسماع شعوب تلك الدول الغربية؛ وليت صور البؤس والشقاء التى تمثل ما يعانيه أهل فلسطين تستطيع أن تعرض تحت عيون نساء دول الغرب وشيوخها وأطفالها، فتطلعهم على قسوة سياستهم وأنانيتهم.

إن أول ما ينبغى لنا فى هذه الأوقات العصيبة هو أن نجرد كل قوانا لعرض ما يقاسيه إخواننا أهل فلسطين على الرأى العام فى دول الغرب، وأن نعمل بكل ما فى طاقتنا لإسماع أصواتنا، وإبلاغ الحقائق لشعوب تلك الدول، فلعل مناظر البؤس الذى يعانيه إخواننا تحرك فى أبنائها وبناتها شعور الإنسان نحو الإنسان. فإذا نحن قمنا بتلك الدعاية، وأدينا واجبنا فى البلاغ المبين، وأظهرنا أننا نُكافَأ

أقسى مكافأة، وأشدها ظلما على إخلاصنا ومساعدتنا فى أيام بؤس الدول الغربية وكربها. إذا فعلنا ذلك ثم لم نجد إلا آذانا صماء، وعيونا عمياء لم يبق أمامنا إلا الاختيار الأخير، اختيار المضطر الذى يركب الوعر من الأمور وهو عالم بركوبه، فنحالف عندئذ كما قلنا أى حليف يساعدنا على الحياة، وإن يكن ذلك الحليف هو الشيطان. فهل تبلغ هذه الكلمة إلى قرارة النفوس؟ وهل تجد عند ساسة العرب سماعاً؟».

* * *

فى بداية المقالة مقدمة طويلة من قوله: «الآن قد برح الخفاء» إلى قوله: «سياسة الأنانية والمادية التى تكاد تكون وحشية». ويأخذ الكاتب فى معالجة موضوعه عن صلة حرب فلسطين بالحروب الصليبية، حتى يصل إلى نهاية المقالة بدون خاتمة واضحة لها.

والمقالة موضوعية، وإن كان قلم الكاتب جنح كثيراً إلى التعبير عن الذاتية العربية فى عدة مواضع مثل قوله: «لقد لحنا فيما مضى»، وقوله: «وكنا كلما بدا لنا من الغرب»، وقوله: «وقد طالما علّلنا أنفسنا»، وقوله: «ولسنا نقول هذا قولا جزافا»، وقوله: «ووقعنا فى الخطأ نفسه»، وقوله: «ألا ليت أصواتنا» وغيرها.

أفكار المقالة:

١ - عالج الكاتب موضوع قضية فلسطين من خلال منظور تاريخى هو نظرة الغرب إلى العرب التى تمثل نظرة الصليبيين إلى المسلمين. ومن خلال هذا المنظور أبان الكاتب عن المساندة الكاملة التى قدمتها دول الغرب لليهود فى فلسطين ، تلك المساندة التى كانت السبب الأساسى فى قيام شأنهم هناك.

٢ - أجاب الكاتب عن تساؤله فى عنوان المقالة: (أهى حرب صليبية؟) بالإيجاب، مبينا أنها حرب صليبية تشنها دول الغرب على العرب.

٣ - برهن الكاتب على صحة أفكاره فى المقالة بعرض حوادث تاريخية منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من تطورات، مرورا بالحرب العالمية

الثانية، حتى حوادث فلسطين فى عام ١٩٤٨. وقد أحسن الكاتب الإفادة من هذا العرض.

٤ - قدَّم الكاتب حلَّين واضحين شارحاً لهما، وهما: الدعاية القوية لشرح قضية فلسطين فى الدول الغربية، أو محالفة الشيطان إن كان سيعيننا فى قضيتنا. والحلَّان - على وجاهتهما - فيهما حُسْن نية من الكاتب؛ لأن المتتبع لقضية فلسطين يتبين له أن القوى الدولية على اختلاف مذاهبها وتباين أنظمتها كانت مع اليهود ضد العرب. وما أصدق مقالة نقولا الحداد بعنوان: (أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم).

أسلوب المقالة:

١ - يُفصح قلم الكاتب عن أسلوب أديب من طراز خاص هو طراز الميل إلى السرد القصصى، وإيراد الحوادث فى عبارات واضحة شارحة.

٢ - أسلوب المقالة هادىء، ويُحس فيه القارىء بألم الكاتب وأسفه على نظرة الغرب الظالمة للعرب. ولا يخلو أسلوب الكاتب نفسه من استجداء دول الغرب فى قوله: «فلعل مناظر البؤس الذى يعانيه إخواننا تُحرك فى أبنائها وبناتها شعور الإنسان نحو الإنسان».

٣ - ندَّت عن قلم الكاتب عدة تعبيرات تحتاج لمراجعة مثل: (الأمم العربية). وهذا التعبير وإن كان سائداً آنذاك فإن صوابه هو (الدول العربية) أو (الأقطار العربية) فالعرب أمة واحدة. ومثل: (مواعيد دول الغرب) والأدق فى التعبير (وعود دول الغرب)؛ لأن الدول الغربية كانت حريصة على ألا تُلزم نفسها بمواعيد محددة فى علاقاتها مع العرب، وكل ما كانت تعطيه لهم مجرد وعود.

وفى النهاية نرى أن هذه المقالة لم تحظ - فى معالجة الموضوع أو فى الأسلوب - بمستوى القوة والجودة اللذين نجدهما قد تحققا فى النماذج الثلاثة السابقة.

تقويـــم

وقفنا – من خلال عرضنا لوظيفة المقالة الأدبية نحو قضية فلسطين فى عام ١٩٤٨ – على أنها تناولت جوانب عديدة من القضية تتمثل فى بيان جانب الدين من القضية، وإظهار المشاعر العربية نحو النكبة، وبيان صفات الصهيونيين، والتحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام، ومناقشة حجة اضطهاد اليهود وتفنيدها، وإثارة موضوع اليهود المقيمين فى البلاد العربية، وشرح مأساة اللاجئين الفلسطينيين وتقديم حل عملى سريع لهم، واستثارة النخوة العربية، وتأكيد حق العرب فى قضيتهم وموازنته بباطل اليهود، وتبصير العرب بموقف هيئة الأمم المتحدة من القضية والتنديد بهذا الموقف، وكشف سياسة الإنجليز الخادعة للعرب، ورصد تطورات القضية، وتنبيه العرب لسياسة الأمر الواقع التى أفاد منها اليهود، وتحية شهداء فلسطين، ودعوة العرب إلى الثقة بالنفس، وشرح لواجبات العرب نحو قضيتهم. فضلا عن إيراد نماذج كاملة للمقالة الأدبية فى قضية فلسطين لأربعة من أشهر الكُتَّاب.

ويتبين لنا من خلال ذلك كله ما يلى: –

١ – أن الأدب المقالى نحو قضية فلسطين كان فى مقدمة ألوان الأدب نتاجاً وهديراً و خصباً، وهو الذى عكس بدرجة أدق وبصورة أوضح تطورات القضية وملابساتها، وأبان عن دور كاتب المقالة الذى يرى أن قضايا قومه، ومشكلات مجتمعه قضاياه هو ومشكلاته هو التى تشغل عقله، وتثير وجدانه، وتنشط قلمه، فلا جرم أن يعطيها ما تستحقه من العناية والاهتمام.

فالمقالة الأدبية أدت وظيفتها إذن نحو قضية فلسطين باستقصاء ووضوح، وأمانة وصدق، وفهم ووعى. وقد تطلب ذلك من الكاتب المقالى جذوة من الشعور والفكر معاً يقدمها لقرائه من خلال مقالته.

٢ – يُلاحَظ على المقالات – بصفة عامة – أنها تتفق فى صدق العاطفة، وقوة

الإيمان بعدالة القضية. أما فى طريقة التعبير فهى تختلف باختلاف الكُتّاب وثقافتهم وظروفهم النفسية التى كتبوا فيها مقالاتهم؛ فهناك مقالات عَبَّرت عن صاحبها فى انفعال وحِدَّة، ومقالات أخرى عبَّرت فى هدوء ورَوِيَّة.

٣ - كان الإحساس السائد فى الفترة من يناير ١٩٤٨ إلى قيام إسرائيل فى الخامس عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ - على الرغم من خطورة الموقف - بأن قيامها بعيد التحقيق. ومن هنا كانت الصدمة بعد ذلك التاريخ الأخير قاسية أشد القسوة على النفس العربية؛ فكانت المقالة الأدبية تنضح بالحسرة، وتنطق بالألم.

٤ - يظهر من تتبع المقالات الأدبية عن القضية أنها دقت ناقوس الخطر، وحذرت من نتائج التهاون، ونبهت إلى جوانب النقص فى خطط العرب العسكرية وممارساتهم السياسية، وأهمية علاج ذلك النقص.

٥ - مشاركة كثير من أدباء البلاد العربية بمقالاتهم مشاركة ملحوظة فى تناول القضية فى المجلات الأدبية فى مصر مثل: نقولا الحداد، وشكرى فيصل، وعلى الطنطاوى، وحسنى كنعان، وعلى محمد سرطاوى، وعمر حليق، وصبحى إبراهيم الصالح، وعدنان الكيالى، وغيرهم.

٦ - كان تجاوب القراء مع المقالات الأدبية التى نُشرت عن القضية واضحا، ووجدنا منهم التحية الحارة، والتشجيع المؤازر للكُتّاب المهتمين بالقضية، ودعوة أصحاب الأقلام الأخرى للمشاركة فيها.[1]

٧ - من الأقلام الرائدة الواعية التى تبنت القضية، وألقت على جوانبها الأضواء، ونبهت لخطورة الأوضاع قلم نقولا الحداد الصيدلى الأديب.[2]

---

(١) انظر مجلة الرسالة باب البريد الأدبى، العدد ٧٧٥ فى ١٠ من مايو ١٩٤٨، والعدد ٨٠٢ فى ١٥ من نوفمبر ١٩٤٨.

(٢) وُلد نقولا الحداد فى لبنان فى عام ١٨٧٢، وتوفى فى مصر فى عام ١٩٥٤. درس الصيدلة فى الجامعة الأمريكية ببيروت، وأصدر عدة جرائد فى لبنان، ثم سافر إلى مصر، وأنشأ صيدلية فى القاهرة، وعمل بالصحافة المصرية. وتولى رئاسة تحرير (المقتطف) خلال الفترة من يونيو عام ١٩٥٠ إلى نوفمبر من العام نفسه.
وكان مكثراً من كتابة المقالات، ومن التأليف والترجمة. وقد بلغت مؤلفاته ومترجماته نحو ستين كتابا.

يسنده فى ذلك علم واسع، وخبرة طويلة بالقضية، وفهم لظروفها وملابساتها. ولم يقتصر فى نشر مقالاته على مجلة واحدة بل كان ينشر فى (الرسالة) و(الكتاب) و(المقتطف). وهو صاحب أكبر عدد من المقالات التى نُشرت عن القضية فى المجلات الأدبية بمصر فى عام ١٩٤٨، إذ بلغت مقالاته سبعاً وعشرين مقالة.[٣]

وكان من أثر نشر مقالاته وأهميتها أن قام عباس محمود العقاد بالتعليق عليها، كما ظهر فى النموذج الثانى من النماذج الكاملة للمقالة. وترجم محمد خليفة التونسى (برتوكولات شيوخ صهيون العلماء) إلى العربية لتنبيه الحداد إلى خطورتها كما أوضح التونسى فى مقالته (الخطر اليهودى).[٤]

ولا يقتصر الأمر – بطبيعة الحال – على نقولا الحداد وحسب، بل أسهم كثير من المقاليين فى القضية بصورة واضحة مثل أحمد حسن الزيات، وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد، ومحمد فريد أبو حديد، وعبد الوهاب عزام، ومحمود محمد شاكر، وغيرهم كما يظهر من ملحق البحث.

٨ – أما عن موقف المجلات الأدبية التى عُنيت بقضية فلسطين فتقف مجلة (الرسالة) فى مقدمة هذه المجلات؛ فقد أعطتها ما تستحق من العناية والاهتمام فى أمانة والتزام، وقدمت فى خلال عام ١٩٤٨ ستاً وخمسين مقالة عن القضية. وعجز اليهود عن استمالتها أو إسكاتها كدأبهم مع أصحاب الصحف وكُتَّابها، ولم تنشر إعلاناً واحداً لمؤسسة تجارية لها صلات باليهود، حِفاظاً منها على أداء رسالتها نحو القضية. كما عكست تطورات القضية بصدق ووضوح إبَّان اشتداد الأزمة.[٥]

---

(٣) انظر ملحق البحث.

(٤) انظر المقالة بمجلة الرسالة، العدد ٨٥٦، فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٩، ص ١٦٥٣، ١٦٥٤

(٥) على سبيل المثال نجد العدد رقم ٧٧٦ بتاريخ ١٧ من مايو ١٩٤٨ قد نُشرت فيه أربع مقالات عن القضية من تسع مقالات فى العدد. وهذه المقالات الأربع هى:

١ –لمن هذه القوة فى فلسطين	لأحمد حسن الزيات.
٢ –الغيظ المحزن	لنقولا الحداد.
٣ –عار لا يُمحى	لشكرى فيصل.
٤ –القول للسيف	لحسنى كنعان.

وتلي مجلةُ (الثقافة) (الرسالةَ) في عنايتها واهتمامها بالقضية؛ فقد قدمت (الثقافةُ) في العام نفسه أربعين مقالة.

ثم تتقاسم مجلتا (الكتاب) و(الهلال) الاهتمام بالقضية بعد (الرسالة) و(الثقافة)؛ فقد قدمت كلٌّ من (الكتاب) و(الهلال) ثماني مقالات في الفترة نفسها، وخصصت (الهلال) عدد يوليو ١٩٤٨ لدراسة القضية من جوانبها المختلفة.

وقدمت مجلة (الأزهر) مقالتين فقط عن القضية في خلال عام ١٩٤٨، مع أن للقضية جانباً دينياً مهماً يدخل في إطار رسالة المجلة في تقديم الفكر الديني، ونشر التوعية الدينية بالقضايا التي تهم المسلمين.

ويلاحظ أن مجلة (المقتطف) لم تنشر مقالاً واحداً عن القضية في خلال عام ١٩٤٨، مع أنه كان عاماً حاسماً في حياة الأمة العربية، وكانت القضية محل اهتمام المفكرين والأدباء.[٦]

والملاحظة نفسها تنطبق على مجلة (الكاتب المصري)؛ فهي لم تقدم مقالة واحدة عن القضية من يناير ١٩٤٨ إلى مايو ١٩٤٨ (تاريخ احتجابها). وقد أثار ذلك الموقف كثيراً من الشك حولها.[٧]

---

(٦) اهتمت المقتطف بالقضية بعد تولي نقولا الحداد رئاسة تحريرها بعد ذلك (من يونيو ١٩٥٠ إلى نوفمبر ١٩٥٠).

(٧) انظر على سبيل المثال:

عمر حليق في مقالته بعنوان (الصهيونية هي الخطر الأول في حاضر الشرق العربي ومستقبله) بمجلة الرسالة، ص ١٣٩٥

وعلي شلش في الدراسة التي قدمها بعنوان (المثقفون المصريون في الأربعينيات وموقفهم من الصهيونية) بمجلة (المجلة) السعودية الأسبوعية على حلقتين، في العدد ١٣٩، بتاريخ أكتوبر ١٩٨٢، ص ٧١-٧٤، والعدد ١٤٠، بتاريخ أكتوبر ١٩٨٢، ص ٧٢-٧٥.

المصــادر والمراجــع

أولا: الكتب:

١ – إبراهيم عبد القادر المازنى: صندوق الدنيا، القاهرة، مطبعة الترقى، ١٩٢٩

٢ – د. أحمد أمين ود. زكى نجيب محمود: قصة الأدب فى العالم، الجزء الثانى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥.

٣ – أحمد الشايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢.

٤ – أنيس المقدسى: الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث، بيروت، دار الكاتب العربى، ١٩٦٠.

٥ – أنيس المقدسى: الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الكاتب العربى، ١٩٦٣.

٦ – حسين مروَّة: مع القافلة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٢.

٧ – أبو حيان التوحيدى: البصائر والذخائر، المجلد الأول، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلانى، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٦٤.

٨ – أبو حيان التوحيدى: الصداقة والصديق، شرح وتعليق على متولى صلاح، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٧٢.

٩ – د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ط ثانية.

١٠ – د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩، ط ثانية.

١١ – د. سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، الكويت، دار البحوث العلمية (مطبعة حسان بالقاهرة) ١٩٨٠.

١٢ - سيد قطب: النقد الأدبى أصوله ومناهجه، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦، ط رابعة.
١٣ - د. شكرى محمد عياد: القصة القصيرة فى مصر، دراسة فى تأصيل فن أدبى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.
١٤ - د. شكرى محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ط أولى.
١٥ - عباس محمود العقاد: فرنسيس باكون (المجلد التاسع عشر من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد) بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨١.
١٦ - عباس محمود العقاد: يسألونك، لبنان، دار الكتاب العربى، ١٩٦٨.
١٧ - عبد السلام المسدى: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسنى فى نقد الأدب، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس)، ١٩٧٧.
١٨ - د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٠.
١٩ - د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب فى مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٥.
٢٠ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجرى، القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨.
٢١ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الثانى، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٦٤.
٢٢ - د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥.
٢٣ - عمر الدسوقى: فى الأدب الحديث، الجزء الأول، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٤، ط سادسة.
٢٤ - عمر الدسوقى: نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢.
٢٥ - د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، القاهرة، معهد الدرسات العربية العالية، ١٩٥٩.

٢٦ – د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ط ثانية.
٢٧ – د. محمد كامل جمعة: مونتانى من مقالاته الأدبية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٨.
٢٨ – د. محمد مندور: الأدب وفنونه، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
٢٩ – د. محمد مندور: محاضرات عن المقالة الأدبية، أُلقيت بقسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية بمعهد البحوث والدراسات العربية فى عام (١٩٦٥/٦٤)
٣٠ – د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
٣١ – نبيه صقر: مونتانى، حياته – فلسفته – منتخبات، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٦١ ط أولى.

ثانيا: الدوريات:

١ – د. أحمد أمين: الشيطان رجل الساعة، مجلة الهلال، المجلد الستون، الجزء الثالث، مارس ١٩٥٢.
٢ – د. أحمد أمين: ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨.
٣ – أحمد حسن الزيات: حكم من أحكام الله، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨.
٤ – أحمد حسن الزيات: مالِيَ لا أكتب، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٣، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨.
٥ – أحمد حسن الزيات: مثل المهذبين من بنى آدم، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
٦ – أحمد حسن الزيات: المسلمون فى معترك الخطوب، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٧ – أحمد حسن الزيات: من علامات الساعة، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.

٨ – د. أحمد زكى: وسطاء السلام، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.
٩ – د. إسحاق موسى الحسينى: رجل يخرج النور من فمه، مجلة المجلة، العدد ٤٤، أغسطس ١٩٦٠.
١٠ – أمير بقطر: كيف تكتب مقالاً يُقرأ؟، مجلة الهلال، المجلد ٥٧، الجزء ٢، فبراير ١٩٤٩.
١١ – إيليا نعمان حكيم: دراسة عن كتاب المقالات لمونتين، سلسلة تراث الإنسانية، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، المجلد الخامس، الجزءان – الثانى والثالث، ٥ من فبراير ١٩٦٧، ٥ من مارس ١٩٦٧.
١٢ – حبيب جاماتى: مواكب الشهداء، مجلة الهلال، المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
١٣ – حسنى كنعان: القول للسيف، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
١٤ – د. زكى نجيب محمود: جناية الصحافة على الأدب، مجلة الثقافة، العدد ٥٩١، ٢٤ من أبريل ١٩٥٠.
١٥ – شكرى فيصل: عار لا يُمحى: مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
١٦ – صبحى إبراهيم الصالح: لك الله أيها العربى، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٧ – عباس محمود العقاد: أدب المقالة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
١٨ – عباس محمود العقاد: إلى ساسة الأمم المتحدة، مجلة الكتاب، الجزء الثامن، السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٤٨.
١٩ – عباس محمود العقاد: الشخصية الحافظية، مجلة الهلال، يوليو ١٩٦٣.
٢٠ – عباس محمود العقاد: شوقى فى الميزان بعد خمس وعشرين سنة، مجلة الهلال، المجلد ٦٥، الجزء ١٠، ١٩٥٧.
٢١ – عباس محمود العقاد: على فيض البخيل، صحيفة الأساس، ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٠.

٢٢ – عباس محمود العقاد: على يوسف، مجلة المجلة، العدد ٦٧، أغسطس ١٩٦٢.
٢٣ – عباس محمود العقاد: قضية مكسوبة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٢٤ – عباس محمود العقاد: مصطفى لطفى المنفلوطى كما عرفته، مجلة المجلة، العدد ٧٠، نوفمبر ١٩٦٢.
٢٥ – عباس محمود العقاد: يد من حديد فى ذراع من جريد، صحيفة البلاغ اليومية، ٥ من يوليو ١٩٢٨.
٢٦ – عبد المنعم خلاف: حديث إلى العرب، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.
٢٧ – د. عبد الوهاب عزام: الفريقان المتحاربان فى فلسطين: الكرم واللؤم، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.
٢٨ – عدنان الكيالى: اضطهاد اليهود، مجلة الثقافة، العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
٢٩ – على حيدر الركابى: الجمل اليهودى وسَمِّ الخياط، مجلة الرسالة، العدد ٩٧١، ١١ من فبراير ١٩٥٢.
٣٠ – على رفاعة الأنصارى: مركب النقص عند اليهود، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٣١ – على شلش: المثقفون المصريون فى الأربعينيات وموقفهم من الصهيونية، مجلة (المجلة) السعودية الأسبوعية، العددان ١٣٩، ١٤٠، أكتوبر ١٩٨٢.
٣٢ – على محمد سرطاوى: مذبحة الأبرياء فى قرية دير ياسين، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو ١٩٤٨.
٣٣ – عمر حليق: الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.
٣٤ – محمد خليفة التونسى: الخطر اليهودى (بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء)، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٦، ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٩.
٣٥ – محمد عبد الله عنان: الخطر الذى نكافحه، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.

٣٦ – د. محمد عوض محمد: بين السلم والحرب، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨.
٣٧ – د. محمد عوض محمد: عيد بأية حال عدت، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٣٨ – د. محمد عوض محمد: فن المقالة الأدبية لماذا يتجاهله مجلس الفنون والآداب، مجلة الهلال، المجلد ٦٧، الجزء ٦، يونيو ١٩٥٩.
٣٩ – د. محمد عوض محمد: مكافأة الغدر، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
٤٠ – محمد فريد أبو حديد: أهى حرب صليبية؟ مجلة الثقافة، العدد ٥٠٣، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨.
٤١ – محمود محمد شاكر: ويحكم هُبُّوا، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٤٢ – محمود محمود: المقالة فى يد الدكتور أحمد زكى، مجلة الثقافة، العدد ٥٩٤، ١٥ من مايو ١٩٥٠.
٤٣ – نقولا الحداد: أين كنا وأين صرنا؟ مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
٤٤ – نقولا الحداد: أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
٤٥ – نقولا الحداد: أيها العرب ما حكَّ جلدك مثل ظفرك، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.
٤٦ – نقولا الحداد: سياسة الصهيونيين المالية ونذالتهم، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل ١٩٤٨.
٤٧ – نقولا الحداد: الصحافة فى الميثاق الصهيونى، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
٤٨ – نقولا الحداد: ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨.
٤٩ – نقولا الحداد: على نفسها جنت براقش، مجلة الرسالة، العدد ٧٦٧، ١٥ من مارس ١٩٤٨.

٥٠ – نقولا الحداد: الغيظ المحزن، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.

٥١ – نقولا الحداد: لو أصبح لليهود دولة، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٤، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨.

٥٢ – نقولا الحداد: مصرع برنادوت، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر ١٩٤٨.

٥٣ – نقولا الحداد:موقف اليهود فى مصر، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨.

٥٤ – نقولا الحداد: هذا يوم الحساب، التعويضات والغرامات على اليهود، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.

٥٥ – نقولا الحداد: هؤلاء هم اليهود قديماً وحديثاً وأولاً وآخراً، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٩، ١٦ من أغسطس ١٩٤٨.

٥٦ – نقولا الحداد: هل نجح خادم اليهود؟، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨.

٥٧ – نقولا الحداد: اليهودية = الصهيونية = الشيوعية، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨.

٥٨ – وديع فلسطين: بين الصحافة والأدب، مجلة المقتطف، المجلد الخامس عشر بعد المائة، الجزء الرابع، نوفمبر ١٩٤٩.

٥٩ – د. يوسف هيكل: التعبئة العامة، مجلة الثقافة، العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨.

ملحق

قائمة ببليوجرافية بالمقالات التى نُشرت عن قضية فلسطين فى المجلات المعنية بالمقالة الأدبية خلال عام ١٩٤٨ – مرتبة زمنيا

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١	أحمد حسن الزيات	المسلمون فى معترك الخطوب	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٢	أحمد رمزى	مرحبا بالتقسيم مرحى للصهيونية	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨
٣	محمود محمد شاكر	ويحكم هُبُّوا	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٤	نقولا الحداد	موقف اليهود فى مصر	الرسالة	العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨
٥	محمد عبد الله عنان	قرار تقسيم فلسطين بطلانه من الوجهتين الفقهية والدولية	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨
٦	نقولا الحداد	تابوت العهد لا يُمَلِّك اليهود فلسطين إلا إذا وجدوه	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨
٧	أحمد رمزى	فلسطين بين العرب والصهيونية نظرات إيجابية وآراء حرة	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨
٨	بلا توقيع	فلسطين الشهيدة	الهلال	الجزء الثانى من المجلد ٥٥، فبراير ١٩٤٨
٩	عبد المتعال الصعيدى	التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود.	الرسالة	العدد ٧٦٤، ٢٣ من فبراير ١٩٤٨.
١٠	محمد عبد الله عنان	قرار التقسيم فى الميزان.	الثقافة	العدد ٤٧٨، ٢٤ من فبراير ١٩٤٨
١١	شكرى فيصل	الحكومات العربية والشعوب العربية.	الثقافة	العدد ٤٧٨، ٢٤ من فبراير ١٩٤٨
١٢	د. حسن راشد جرانه	المشكلة الفلسطينية بعد شهرين	الثقافة	العدد ٤٨٠، ٩ من مارس ١٩٤٨

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١٣	د. راشد البراوى	الشرق الأوسط فى معترك السياسة الدولية.	الكتاب	الجزء الثالث من السنة الثالثة، مارس ١٩٤٨.
١٤	نقولا الحداد	على نفسها جنت براقش	الرسالة	العدد ٧٦٧، ١٥ من مارس ١٩٤٨.
١٥	د. عبد اللطيف حمزة	المجاهدون الأبرار	الثقافة	العدد ٤٨١، ١٦ من مارس ١٩٤٨.
١٦	عدنان الكيالى	اضطهاد اليهود	الثقافة	العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
١٧	نقولا الحداد	هيئة الأمم تترنح وتتداعى	الرسالة	العدد ٧٦٩، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
١٨	د. أحمد أمين	محنة العالم الإسلامى	الثقافة	العدد ٤٨٣، ٣٠ من مارس ١٩٤٨.
١٩	نقولا الحداد	التلمود واليهود	الرسالة	العدد ٧٧٠، ٥ من أبريل ١٩٤٨.
٢٠	نقولا الحداد	دولة الدول الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٧١، ١٢ من أبريل ١٩٤٨.
٢١	بلا توقيع	فلسطين تكافح	الثقافة.	العدد ٤٨٥، ١٣ من أبريل ١٩٤٨.
٢٢	نقولا الحداد	المقاصد الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٧٢، ١٩ من أبريل ١٩٤٨.
٢٣	د. محمد عوض محمد	فلسطين والسياسة الأمريكية	الثقافة	العدد ٤٨٦، ٢٠ من أبريل ١٩٤٨.
٢٤	نقولا الحداد	سياسة الصهيونية المالية ونذالتهم	الرسالة	العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل ١٩٤٨
٢٥	نقولا الحداد	الصحافة فى الميثاق الصهيونى	الرسالة	العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
٢٦	أحمد حسن الزيات	من علامات الساعة	الرسالة	العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
٢٧	على محمد سرطاوى	مذبحة الأبرياء فى قرية دير ياسين	الرسالة	العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو ١٩٤٨.
٢٨	ياقوت صديق	اليهود	الثقافة	العدد ٤٨٩، ١١ من مايو ١٩٤٨.
٢٩	أحمد حسن الزيات	لمن هذه القوة فى فلسطين؟	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٣٠	نقولا الحداد	الغيظ المحزن	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣١	شكرى فيصل	عار لا يُمْحى	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣٢	حسنى كنعان	القول للسيف	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣٣	بلا توقيع	الحرب فى فلسطين	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨.
٣٤	د. أحمد أمين	كيف دخلوها وكيف تركوها	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨.
٣٥	على رفاعة الأنصارى	منقذ القدس	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨
٣٦	إبراهيم زكى أباظة	معركة العروبة فى فلسطين أهدافها ووسائلها	الرسالة	العدد ٧٧٧، ٢٤ من مايو ١٩٤٨.
٣٧	د. محمد عوض محمد	فلسطين والانتخابات الأمريكية	الثقافة	العدد ٤٩١، ٢٥ من مايو ١٩٤٨.
٣٨	أحمد حسن الزيات	لله جيش الفاروق	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٣٩	نقولا الحداد	أحرب تنشب أم ثورة تُقمع	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٤٠	شكرى فيصل	أيها الملك العظيم	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٤١	بلا توقيع	فلسطين بين الأعمال الحربية والمناورات السياسية.	الثقافة	العدد ٤٩٢، ١ من يونيو ١٩٤٨.
٤٢	أحمد رمزى	فلسطين بين العرب والصهيونية نظرات إيجابية وآراء حرة	الكتاب	الجزء السادس من السنة الثالثة، يونيو ١٩٤٨.
٤٣	حسنى كنعان	اللقيطة	الرسالة	العدد ٧٧٩، ٧ من يونيو ١٩٤٨.
٤٤	د. محمد عوض محمد	بين السلم والحرب	الثقافة	العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨.
٤٥	بلا توقيع	الهدنة وما بعدها	الثقافة	العدد ٤٩٤، ١٥ من يونيو ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٤٦	نقولا الحداد	ضُربت عليهم الذلة والمسكنة	الرسالة	العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨.
٤٧	د. محمد عوض محمد	بعد وقف القتال	الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.
٤٨	محمد عبد الله عنان	الخطر الذى نكافحه	الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.
٤٩	د. أحمد زكى	وسطاء السلام	الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.
٥٠	نقولا الحداد	وارسو نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب	الرسالة	العدد ٧٨٢، ٢٨ من يونيو ١٩٤٨.
٥١	أحمد رمزى	آثار الملوك والسلاطين المصريين بمدينتى القدس والخليل	الرسالة	العدد ٧٨٢، ٢٨ من يونيو ١٩٤٨.
٥٢	بشير صادق	من رسائل الجبهة	الثقافة	العدد ٤٩٦، ٢٩ من يونيو ١٩٤٨.
٥٣	ف	إلى فلسطين	الأزهر	المجلد التاسع عشر، يوليو ١٩٤٨.
٥٤	محمد فريد وجدى	الحرب والسلام	الأزهر	المجلد التاسع عشر، يوليو ١٩٤٨.
٥٥	د. محمد عوض محمد	فلسطين قلب العالم العربى	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٥٦	د. أحمد أمين	لو عاد موسى وعيسى ومحمد	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٥٧	حبيب جاماتى	مواكب الشهداء	الهلال .	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٥٨	أمينة السعيد	فلسطين والمرأة العربية	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٥٩	بلا توقيع	الهجرة اليهودية فى ربع قرن	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٦٠	أ. ب	اليهود مضطَهدون فى كل مكان لماذ؟	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
٦١	بلا توقيع	الصهيونية فى سطور	الهلال	المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٦٢	عبد الرحمن زكى	هذا تاريخهم.	الكتاب	الجزء السابع من السنة الثالثة، يوليو ١٩٤٨.
٦٣	محمد شفيق غربال	حروب مصر فى فلسطين	الكتاب	الجزء السابع من السنة الثالثة، يوليو ١٩٤٨.
٦٤	نقولا الحداد	حُجة خيط العنكبوت وقد فات أوانها	الرسالة	العدد ٧٨٣، ٥ من يوليو ١٩٤٨.
٦٥	حسن جلال	خطبة منبرية	الثقافة	العدد ٤٩٧، ٦ من يوليو ١٩٤٨.
٦٦	على العمارى	من سجايا اليهود نقض العهود	الرسالة	العدد ٧٨٤، ١٣ من يوليو ١٩٤٨.
٦٧	أحمد حسن الزيات	أدبنا وهذه الحرب	الرسالة	العدد ٧٨٤، ١٣ من يوليو ١٩٤٨.
٦٨	عباس محمود العقاد	قضية مكسوبة	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٦٩	نقولا الحداد	هذا يوم الحساب، التعويضات والغرامات على اليهود.	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٧٠	محمد أسامة علية	من أهداف الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٧١	د. عبد الوهاب عزام	الفريقان المتحاربان فى فلسطين الحق والباطل.	الرسالة	العدد ٧٨٦، ٢٦ من يوليو ١٩٤٨.
٧٢	نجاتى صدقى	معركة صبيان.	الرسالة	العدد ٧٨٦، ٢٦ من يوليو ١٩٤٨.
٧٣	د. أحمد أمين	ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟	الثقافة	العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨.
٧٤	نقولا الحداد	أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم	الرسالة	العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٥	نجاتى صدقى	حياة بلابسى	الرسالة	العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٦	بلا توقيع	ما أفدناه وتعلمناه من الحرب فى فلسطين	الثقافة	العدد ٥٠١، ٣ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٧	د. عبد الوهاب عزام	الفريقان المتحاربان فى فلسطين الكرم واللؤم	الرسالة	العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٧٨	نقولا الحداد	أيها العرب ماحكّ جلدك مثل ظفرك	الرسالة	العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٩	د. محمد عوض محمد	عيد بأية حال عدت	الثقافة	العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٠	محمد فريد أبو حديد	الرصاصة الأولى	الثقافة	العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٨١	على رفاعة الأنصارى	مركب النقص عند اليهود	الثقافة	العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٢	نقولا الحداد	هؤلاء هم اليهود قديما وحديثا وأولا وآخرا.	الرسالة	العدد ٧٨٩، ١٦ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٣	محمد فريد أبو حديد	أهى حرب صليبية؟	الثقافة	العدد ٥٠٣، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٤	نقولا الحداد	يهوه على الأرض	الرسالة	العدد ٧٩٠، ٢٣ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٥	عمر الخطيب	مكر يهود	الرسالة	العدد ٧٩٠، ٢٣ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٦	بلا توقيع	ماذا نسى الصهيونيون ؟	الثقافة	العدد ٥٠٤، ٢٤ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٧	بشير صادق	من رسائل الجبهة	الثقافة	العدد ٥٠٤، ٢٤ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٨	نقولا الحداد	فصيلة المخلوقات الخبيثة	الرسالة	العدد ٧٩١، ٣٠ من أغسطس ١٩٤٨.
٨٩	نقولا الحداد	أنقذوا اللاجئين أولا	الرسالة	العدد ٧٩٢، ٦ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٠	محمد عبد الله عنان	الجمعية العمومية للأمم المتحدة	الثقافة	العدد ٥٠٦، ٧ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩١	أحمد حسن الزيات	مالىَ لا أكتب	الرسالة	العدد ٧٩٣، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٢	نقولا الحداد	لو أصبح لليهود دولة	الرسالة	العدد ٧٩٤، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٣	ف	طعنة فى صدر الإنسانية	الثقافة	العدد ٥٠٨، ٢١ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٤	حسن لطفى المنفلوطى	يهود العالم	الثقافة	العدد ٥٠٨، ٢١ من سبتمبر ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٩٥	عمر عودة الخطيب	غدر يهود	الرسالة	العدد ٧٩٥، ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٦	د. محمد عوض محمد	مكافأة الغدر	الثقافة	العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٧	إبراهيم جمال الدين الرمادى	اليهود فى بلاد العرب قبل الإسلام	الثقافة	العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٨	عباس محمود العقاد	إلى ساسة الأمم المتحدة	الكتاب	الجزء الثامن من السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٤٨.
٩٩	نقولا الحداد	مصرع برنادوت	الرسالة	العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨.
١٠٠	شحاتة آدم محمد	حول القتال فى فلسطين	الثقافة	العدد ٥١٠، ٥ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠١	أحمد حسن الزيات	حُكْم من أحكام الله	الرسالة	العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٢	د. محمد عوض محمد	حكومة فلسطين العربية	الثقافة	العدد ٥١١، ١٢ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٣	نقولا الحداد	تشبه وشفاعة	الرسالة	العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٤	صبحى إبراهيم الصالح	لك الله أيها العربى	الرسالة	العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٥	نقولا الحداد	اليهودية = الصهيونية = الشيوعية.	الرسالة	العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٦	بلا توقيع	الشعب المدلل	الثقافة	العدد ٥١٣، ٢٦ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٧	بلا توقيع	الشدائد تصهر الأمم	الثقافة	العدد ٥١٥، ٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
١٠٨	د. يوسف هيكل	التعبئة العامة	الثقافة	العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨.
١٠٩	نقولا الحداد	هل نجح خادم اليهود؟	الرسالة	العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨.
١١٠	أحمد حسن الزيات	مَثَلُ المهذبين من بنى آدم	الرسالة	العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
١١١	نقولا الحداد	أين كنا وأين صرنا؟	الرسالة	العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١١٢	بلا توقيع	خصوم العرب	الثقافة	العدد ٥١٨، ٣٠ من نوفمبر ١٩٤٨.
١١٣	عمر حليق	الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله	الرسالة	العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.
١١٤	عبد المنعم خلاف	حديث إلى العرب	الرسالة	العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.

المحتويات

الصفحة

الصفحة

القسم الثانى

الصفحة

رقم الإيداع ٨٥/٤٦٦٥